

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د. مولاي الطاهر - سعيده -

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة وآدابها

تخصص: لسانيات عامة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة لسانس الموسومة بـ:

الإيجاز ودلالته الفنية في الحديث الشريف

إشراف:

د. زحاف جيلالي

إعداد الطالبتين :

- خليل زهيرة

- خايف نور الهدى

السنة الجامعية: 1438هـ / 1439هـ الموافق 2017م / 2018م

إهداء

بسم الله والحمد لله والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار وأتباعه

الأخير صلاة باقية ما تعاقب الليل والنهار وبعد:

الى كل من أضاء بعلمه عقل غيره وهدى بالجواب الصحيح حيرة سائله فأظهر بسماحته

تواضع العلماء وبرابجته سماحة العارفين

اهدي ثمرة جهدي الى من سخر لنا الحب والحنان وأفنى عمره لإسعادنا وأكرمنا في الدنيا

بعطائه

الى من علمني خوض غمار الحياة وحقق لي كل مبتغانا أبي حفظه الله..

الى من كانت الشمعة المضيئة في حياتي والبسمة المرسومة على شففتاي أي أطال الله في

عمرها.

الى من يفيض قلبي بجهم أخواتي زواوية، سميرة، حليلة ومروى.

الى من زاد الحياة أملا وحلاوة أخي الصغير خليل .

الى من قاسمتني احلى وأجمل اللحظات الى من أعطت لي الصداقة واخلص المعاني

صديقتي الغالية أمينة.

الى شريكتي في هذا العمل نور الهدى والى عائلتها .

الى من لم يذكر مع القلم وينسى مع قلبي .

الى دفعة اللغة العربية وآدابها : 2018/2017.

شكر وعرقان

الحمد لله الذي قال: "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله

وصحبه أجمعين أما بعد

فالشكر لله وحده والفضل له وحده، والمنة لله وحده، بما أولاني من النعم التي لا تحصى ولا تعد، كان من بينها أن سلك بي سبيل طلب العلم، وكان توفيقه لي ممدودا طيلة دراستي النظامية، فاللهم لك الحمد كله، ولك الشكر كله، ولك الفضل كله، وكل إنسان أعاني فأنت الذي هيأته وسخرته، فلك الشكر على ذلك

كما أتقدم بأسمى آيات الاحترام والشكر الامتنان والتقدير إلى الذين حملوا أقدس

رسالة في حياتهم .

إلى أستاذي الفاضل المشرف على هذا البحث الدكتور " زحاف جيلالي " له الشكر

الموصول على ملاحظاته وحرصه على حسن الصياغة والإتقان في إعداد المذكرة،

فكان مكملا لكل النقائص التي واجهتها حيث لم ييخل علينا بتوجيهاته .

وأتقدم بجزيل الشكر الى أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة

في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد .



مقدمة

شهد الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه أجمعين .

عني العلماء منذ القديم بالبلاغة النبوية كيف لا وهو خير من نطق الضاد وأفضل من أوتي الحكمة وفضل الخطاب فمجازه يمثل المكانة الثانية بعد القرآن الكريم في بلاغته وفصاحته بفضل ما أفاضه وحكمة بالغة وقدرة فائقة على الاختراع والاشتقاق لضروب الكلام وتصوير المعاني بأروع الصور ابتداءً الأخيلا التي لم تعرف في كلام العرب ، واهتموا أيضا بخصيصة الإيجاز الذي تميز بالاختصار والتقصير والتقليل فهو لون رفيع من ألوان البيان ونوع شريف من الكلام العالي المقام ، كثير الفوائد أشاد به العلماء وأثنى عليه أصحاب البيان. ولعل من أجمل ما قيل عن هذه السمة ما قاله مصطفى صادق الرافعي في إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ومن كمال تلك النفس اجتمع في الجملة القصيرة والكلمات المعدودة بكل معانيها فلا ترى من الكلام ألفاظ ولكن حركات نفسية في ألفاظ ولهذا أكثرت الكلمات التي انفرد بها دون العرب. فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكره الإطالة في الكلام بما يجاوز مقدار القصد به لا يعني انه لم يكن يطيل وخاصة الإيجاز في كلامه صدى مضيئا وترجمانا قوليا صادقا.

وفي بحثنا هذا حاولنا الكشف عن الإيجاز وبلاغته الفنية في الحديث الشريف الذي تميز به صلى الله عليه وسلم في كلامه من خلال التمعن في ألفاظه ولعل سبب اختيارنا لهذا الموضوع حينا الكبير لهذا الموضوع ولمعالجة هذا الموضوع طرحنا التساؤلات التالية :

ما مفهوم الإيجاز ؟ وما بلاغته الفنية؟ وما هو الإيجاز في الحديث الشريف .

وللإجابة على الإشكال المطروح قسمنا بحثنا الى فصلين:

الفصل الأول تطرقنا فيه الى مفهوم الإيجاز لغة اصطلاحا عند القدامى والمحدثين وأنواع الإيجاز وبلاغته.

أما الفصل الثاني فطرحنا إشكالية الإيجاز في الحديث الشريف فتطرقنا فيه الى مفهوم الحديث وتناولنا فيه كذلك للخصائص البلاغية للحديث الشريف وختمناه بأمثلة حول الإيجاز في الحديث الشريف



أما خاتمة البحث فقد جاءت متضمنة لأهم النتائج التي توصلنا إليها وقد فرضت علينا خطة البحث إتباع المنهج الوصفي التحليلي لان هدفنا هو الكشف عن الإيجاز وبلاغته في الحديث الشريف.

اعتمدنا جملة من المصادر والمراجع أهمها:

وكأي بحث من البحوث فقد واجهتنا بعض الصعوبات تمثلت في عدم توفر الدراسات المتخصصة في دراسة الحديث الشريف من الوجه البلاغي إلا أننا تجاوزنا هذا العقبات بفضل توجيهات الأستاذ المشرف.

وأخيرا أسأل الله عزوجل أن يوفقنا الى ما فيه الخير والسداد ويجعل هذا البحث خالصا بوجه الكريم ولا ننسى في ختام هذه الكلمة أن نتوجه بعظيم الشكر والامتنان الى أستاذنا الدكتور زحاف جيلالي الذي تحمل المسؤولية الإشراف على هذا البحث وأفاض علينا من نصائحه القيمة فله من أخلص التحية والعرفان بالجميل الذي نرجوا له ثوبا من عند الله سبحانه وتعالى .

مدخل

مدخل:

الإيجار مصطلح يدرس ضمن مباحث علم المعاني الذي هو أحد علوم البلاغة الثلاثة وتقسيمه البلاغيون قسمين: قصر وحذف. ويقال: أوجز كلامه إذا قصره، وكلام وجيز أي قصير، ومعناه في اصطلاح علماء البلاغة (تهذيب الكلام بما يحس به البيان، أو تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الذرة". وقد عرف إيجاز القصر صاحب الصناعتين بقوله: أن يكون اللفظ القليل مشارا به إلى معان كثيرة بإيماء إليها ولحمة تدل عليها، كما حده الباقلاني بأنه اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة وأطلق عليه اسم الإشارة.

كما حده إني سان الحفاجي يقوله: " هو أن يكون اللفظ القليل يدل على المعنى الكثير دلالة واضحة ظاهرة لا أن تكون الألفاظ لفرط إيجازها قد ألبست المعنى وأغمضته حتى يحتاج في استنباطه إلى طرف من التأمل ودقيق الفكر فإن هذا عيب في الكلام ونقص وبذلك جعل ابن سنان للإيجار شرط الإفادة والدلالة الواضحة الظاهرة: "فإن كان الكلام الموجز لا يدل على معناه دلالة ظاهرة فهو عندنا قبيح مذموم، لا من حيث كان مختصرا بل من حيث المعنى فيه خافيا".

أما السكاكي فقد جعل لتأدية الكلام متعارفا يتعارفه الناس فيما بينهم قد يزيد الكلام عليه أو ينقص عنه، فيقول: " أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين لا تيسر الكلام فيهما دالا بترك التحقيق والبناء على شيء عربي مثل جعل كلام الأوساط على معنى معارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم¹.

ولا بد من الاعتراف بذلك مقيسا عليه ولنسميه متعارف الأوساط، وأنه في باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم، فالإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من متعارف الأوساط ولعل معنى " متعارف الأوساط" الذي يسوقه السكاكي في كلامه هو ما أدركه الجاحظ قبله، إذ قال: " الإيجاز ليس يعني به

-
- الرماني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق د محمد خلف الله زغلول، دار المعارف 1971 ص 242
 - أسامة من منقذ، البديع في نقد الشعر تحقيق- أحمد بدوي د حامد عبد المجيد طبعة الحلبي 1920 ص 155.
 - السكاكي مفتاح العلوم، الطبعة الأدبية بالقاهرة د - ت ص 150.

قلة عدد الحروف واللفظ، وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسمع بطن طومار فقد أوجز وإنما ينبغي له أن يحذف بقدر ما لا يكون سببا لإغلاقه.

فقد جعل الجاحظ شرط وصف الأسلوب بالإيجاز والحسن أن يأخذ موقعه لدى السامعين فإن قل عما تعارفوه من أداة العبارة فهو كلام وجيز، كما يشترط الجاحظ في كلامه ألا يكون الإيجاز سببا لإدخام الكلام والتباس بعضه ببعض.

إلا أن الجاحظ قد جعل رأيه في الإيجاز كراهيه في البيان عامة، إذ جعل البيان أن تكون الألفاظ والعبارات على قدر المعاني وبناء عليه يمكن القول بأن العبارة الموجزة التي تعطي معان أكثر من الألفاظها بلاغة، ويقدر ما قل اللفظ وزاد المعنى بقدر ما ارتفعت نسبة القول في مراتب البلاغة حتى نصل إلى درجة الإعجاز ممثلة في عبارات القرآن الموجزة". فقد أدرك الجاحظ قيمة إيجاز القصر في الدرس البلاغي، إذ أنه غريلة وتنقية ونخل وتصفية وتركيز، وذلك لا يتهيأ إلا يداوم النظر وطول العهدة وتلك ميزة تظهر للإيجاز على الإطناب وهو يزيد في دلالة الكلام عن طريق الإيجاز ذلك أنه يترك على أطراف المعاني ظلالا فقيقة يشتغل لها الذهب ويعمل فيها الخيال حتى تبرز وتتلون وتتسع رم تتشعب إلى معان أخرى يتحملها اللفظ بالتفسير أو التأويل.¹

وذلك كتخصيص المبتدأ بالخير بطريق النقي في قوله تعالى: " وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور" وتخصيص الخبر بالمبتدأ مثل: " ما شاعر إلا المتنبي" وللقصر مواقع كما أن له أقساما ينقسم إليها بخمس الحقيقة والإضافة أو باعتبار طرفيه وطرفان عما المقصور والمقصور عليه، فمن قوله تعالى: " ألم يروا إلى الطير مستخصرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله".

1- د- عبد الفتاح لاتنين، المعاني في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف 1987 ص 344.

2- د- محمد زغلول سلام، أثرا القرآن في تطور النقد العربي، دار المعارف د-ت الطبعة الثالثة ص 94.

3- د- عبد الفتاح لاشين، المرجع السابق، ص 344.

نجد ما يفيد أن إمساك الطير في جو السماء دون أن شفت مقصورا على الله لا يتعداه إلى غيره، فالمقصور هو هنا الإمساك والمقصور عليه هو الله عز وجل وأيضا في قوله تعالى: " أو لم يتفكر وما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين".

نجد أسلوب قصر، إذ أفاد تخصيص الرسول بصفتي الإنذار والإبافة أي قصره عليهما بحيث لا يتعداهما إلى غيرهما".

وبالنظر إلى هاتين الآيتين ندرك أن تخصيص الشيء معناه إثبات المقصور للمقصور عليه ونقيه عن غيره، أي أن جملة القصر تتميز بأنها تتضمن حكيمين أحدهما مثبت والآخر منفي، فهي في قوة جملتين". وربما كان هذان الحكمان اللذان تحوي عليها جملة القرهما اللذان يجعلان ثمة علامة بين الإيجاز وأسلوب القصر، إلا أنها علاقة عموم وخصوص، لا علاقة إحلال. إن صح هذا التعبير فلا يجوز أن يتسمي لها إيجاز القصر، فإذا كانت جملة القصر في قوة جملتين إحداها متينة والأخرى منفية، فإن ذلك يدل على أن بلاغة الإيجاز تظهر فيه بوضوح أي أن الإيجاز يعد ضمن الأغراض التي يحققها هذا الأسلوب"¹.

وما دام الإيجاز معدودا ضمن الأغراض التي يحققها أسلوب القصر، بوصفه مبحثا من مباحث علم المعاني، فلا يكون ذلك ميول بأي حال أن يلتبس مصطلح القصر بوصفه أسلوبا له خصائصه ودواعيه وأركانه بإيجاز القصر، أما أن يكون لأحدهما بالآخر فهذا ما لا تستطيع إنكاره.

ولعل ذلك اللبسي قد وقع عند بعض المتأخرين، إذ يستعين السيوطي بما قاله الطيبي في التبيان من أن الإيجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام أولها: إيجاز القصر وهو عنده " أن يقصر اللفظ على معناه"

- المرجع نفسه، ص 87.

- السيوطي معترك الأقران ص 296

- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، ص 419.

وهذا ما عينه صاحب الإيضاح في تقسيمه الإيجاز قسمين، وسمى الأول منهما إيجاز القصر وهو ما ليس بحذف.

وقد يقصر اللفظ على معناه ويسمى " مساواة " وليس " إيجازا " إلا أن مصطلح المساواة قد أخذ موقعا خاصا لدى البلاغين وإن اختلفت تسميته، فهو تقدير عند ابن الأثير أي: الذين يمكن التعبير عن معناه بمثل ألفاظه وفي عدتها". وهذا التعريف هو ما ذهب إليه البلاغيون بعده بتسمية معرفة باسم " المساواة " وإن كان السيوطي قد عرف إيجاز التقدير " الذي هو " المساواة " عينها بما يدخله ضمن مصطلح " الإيجاز " وليس هذا فحسب، وإنما ألبسته بمصطلح أكثر، ورد عند أسامة بن منقذ - كما تقدم - وهو مصطلح " التضييق "، فيري السيوطي أن إيجاز التقدير " وهو أن يقدر زائدا عن المنطوق ويسمى بالتضييق أيضا لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه".¹

-
- السيوطي، معترك الأقران، ج1، ص 296.
 - أسامة بن منقذ، البسيط في نقد الشعر ص 155.
 - السيوطي، معترك الأقران، ج 1، ص 296.
 - تعليم قواعد الشعر، شرح وتعليق د - محمد عبد المنعم خفاجي، الحلبي، 1948، ص 68.

الفصل الأول



المبحث الأول: مفهوم الإيجاز

الإيجاز لغة: تقول العرب أوجز الكلام، قل: أوجز الزحل كلامه: بمعنى قلله¹، ويقال أوجز في صلاته إذ خفضها ولم يطل فيها، فالمادة تدور حول للتخفيف والتقصير، فالمادة تدور حول التخفيف والتقصير، وفي الحديث أن رجلاً قال لرسول صلى الله عليه وسلم: " عفلي وأوجز، أي قل لي كلاماً خفيفاً قصيراً أحفظه عنك فيه موعظة لي. وقد روى الإمام أحمد بسنده عن أتوب الأنصاري، قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " إذ قمت في صلاتك فصل صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدا وأجمع الإيأس مما في أيدي الناس ".

فوعظه الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الفقرات الثلاث وأوجز له فيها. وقد اختلفت التعريفات البلاغية في تعريف الإيجاز إلا أن كل هذه التعريفات لم تخرجه من دائرة: " الكلام الموجز لفظياً الدال على معاني كثيرة"

2- الإيجاز اصطلاحاً :

هو التغيير عن المراد بكلام قصير ناقص عن الألفاظ التي يؤدي بها عادة عند متعارف الناس، مع وفائه بالدلالة على المقصود أو هو تصوير المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، أي أن المتكلم يلجأ إلى تكثيف المعاني التي يريدتها منتقياً الألفاظ المناسبة لكل تلك المعاني، دون أن ينقص منها شيئاً لأن الإنتقاص من مراد الكلام يعد إخلالاً لا إيجازاً، ولقد بلغ اهتمام العرب بالإيجاز إلى الحد الذي جعل بعضهم فيما بعد يعرفون البلاغة على أنها الإيجاز عينه².

فالإيجاز إذن هو تكثيف المعنى وتقليل اللفظ بشرط أن يعبر المذكور من اللفظ عما هو مقصود من المعنى دون إخلال فيه، أو يمكننا القول أن الإيجاز هو صياغة كلام قصير يدل على معنى كثير وإن بالمقصود

¹ - عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية، المعاني البيان، البديع، الكتاب الأول المعاني، منشورات الجامعة المفتوحة، 1993، ص 321.

² - نصر الدين بن زروق، اللغة العربية، وأدائها، 2006-2007، ص 176.

عن طريق اختيار التعبيرات ذات الدلالات الكثيرات كالأمثال والكليات من الكلمات أو عن طريق استخدام مجاز الحذف، لتقليل الكلمات المنطوقة والإستعانة بدلالة القرائن على ما حذف، أو عن طريق استخدام ما بني على الإيجاز في كلام العرب، كالحصر والعطف، والضمير، والتشبية، والجمع وأدوات الاستفهام، وأدوات الشرط، وألفاظ العموم وغير ذلك.

الإيجاز عند القدامى والمحدثين:

إن موقع الإيجاز من البلاغة كموقع البلاغة من الإعجاز، لأنه يُعد دعامة من دعائم القول لا غنى للمتكلم عنها حتى يرقى بكلامه الى أعلى المراتب بيانا و أسماها منزلة، وهو في القرآن الكريم سمة من سماته ومنحى من مناحي إعجازه الذي شهد به المنصفون من العرب والعجم، حتى كان القرآن في لغته وأسلوبه وبيانه دافعا الى كثير من دراسات الإعجاز قديما وحديثا¹.

ويقال أوجز في كلامه

ويقال: أوجز في كلامه إذا قصره، وكلام وجيز أي قصير، ومعناه في المصطلح علماء البلاغة (تهديب الكلام بما يحسن به البيان)² أو " تصفية الألفاظ من الكدر وتحصيلها من الدرر"³.

وقد عرف إيجاز القصر صاحب الصناعتين بقوله " أن يكون اللفظ القليل مشارا به إلى معان كثيرة بإيماء إليها ولمحة تدل عليها"⁴، كما حده البقلاني بأنه " اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة "⁵، وأطلق عليه اسم الإشارة.

¹ - الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز دراسة بلاغية، مختار عطية، دار المعرفة، الإسكندرية، دط، 1997، ص .

² - نفسه، ص ص 12-14.

³ - نفسه ص 10.

⁴ - العسكري، الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1914، ص 339

⁵ - البقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، الطبعة الخامسة، 1911، ص 30.

كما ذهب صاحب البديع إلى أنه - أي إيجاز القصر - يمكن أن يطلق عليه اسم " التضييق " وهو أن " يضيق اللفظ عن المعنى لكون المعنى أكثر من اللفظ " ¹.

أما السكاكي فقد جعل لتأدية الكلام متعارفا بتعارفه الناس فيما بينهم، قد يريد الكلام عليه أو ينقص عنه، فيقول : " أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين لا يتسير الكلام فيهما أبتكر التحقيق والبناء على شيء عرفي مثل جعل كلام الأوساط على معنى متعارف بهم في التأدية للمعاني فيما بينهم، ولا بد من الاعتراف بذلك مقبلا عليه ولتسميته متعارف الأوساط، وأنه في باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم، فالإيجاز هو أداة المقصود من الكلام بأقل من متعارف الأوساط " ².

والسكاكي بهذا قد بنى كلامه على شيء عرفي في تأدية المعنى ووصفه بالإيجاز

ولعل معنى " متعارف الأوساط " الذي يسوقه السكاكي في كلامه هو ما أدركه الجاحظ قبله إذ قال: " الإيجاز ليس يعني به قلة عدد الحروف واللفظ، وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسمع بطن طومار فقد أوجز وإنما ينبغي له أن يجذف بقدر ما لا يكون سببا لإغلاقه " ³.

فقد جعل الجاحظ شرط وصعد الأسلوب بالإيجاز والحسن أن يأخذ موقعه لدى السامعين، فإن قل عما نعارفوه من أداة العبارة فهو كلام وجيز، كما يشترط الجاحظ في كلامه ألا يكون الإيجاز سببا لإدغام الكلام والتباس بعضه ببعض.

وقد قسم ابن الأثير الإيجاز بالقصر قسمين، فمنه نوع " يدل على احتمالات متعددة " ⁴، وآخره كما يعبر عنه. " لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلما وفي حدثها وهو أعلى طبقات الإيجاز مكان

¹ - أسامة بن منتقد البديع في نقد الشعر، تحقيق د. أحمد بدوي، د. أحمد بدوي، د. حامد عبد المجيد، طبعة الحلبي، 1970، ص 155.

² - السكاكي، مفتاح العلوم، الطبعة الأدبية بالقاهرة، د.ت، ص 150.

³ - المصدر نفسه، ص 150.

⁴ - ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر، تقديم وتحقيق وتعليق د- أحمد الحوفي، د- بدوى طبانة، دار النهضة مصر، ج2، 973، ص

وأعوزها إمكانا وإذا وجد في كلام بعض البلغاء فإنما يوجد شاذًا نادرًا¹.

وهذا النوع الثاني هو المقصود بإيجاز القصر كما استقر على تعريفه وإثبات حقيقة كثير من البلاغيين في أحقاب متتابعة بأنه التعبير عن المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ بلا حذف في بناء الجملة وهو بهذا يعد " أعمض من الحذف"².

إلا أننا نجد ابن الأثير يجعل إيجاز القصر أحد قسمي الإيجاز بغير حذف، إذ قسم الإيجاز قسمين: إيجاز بالحذف، وإيجاز بغير الحذف، وقد قسم الإيجاز غير الحذف قسمين: " إيجاز تقدير وهو ما سلوى لفظه معناه من غير زيادة. وإيجاز قصر وهو ما يزيد معناه عن لفظه"³

ويتضح أن الخلاف في هذا التقسيم بين السكاني ومن تبعه، وبين ابن الأثير ومن حذا حذوه خلاف ظاهري يكاد يكون في الإسم لا في المسمى.

أما ابن أبي لغصبة فقد حاول أن يوفق بين مصطلحين بارزتين في هذا الموضوع، وهما " غيجاز القصر" و " الغشارة"، وذلك الأخير يرى فيه بعض البلاغيين المتقدمين أنه " أن يشتمل اللفظ القليل على معاني كثيرة بإيماء إليها وذكر لمحة تدل عليها"⁴. كما تابع قدامة في ذلك العسكري والباقلاني، فهي عند العسكري " أن يكون اللفظ القليل مشارًا به إلى معان كثيرة بإيماء إليها ولمحة تدل عليها"⁵، وعند الباقلاني " اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة"⁶.

¹ - ضياء الدين ابن الأثير، المصدر السابق، ص 331.

² - ثلاث رسائل، ص 77.

³ - أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المكتبة المحمودية، التجارية، 1972 ص 11

⁴ - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المفعم مفاحي، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، 1971، ص 104-

100.

⁵ - العسكري، الصناعات، ص 339.

⁶ - الباقلاني، إعجاز القرآن ص 90.

وعلى الرغم من أن ابن أبي الإصبع قد حاول التوفيق بين مصطلحي الإشارة وإيجاز القيصر، إلا أن الشهاب الحلبي - كما يتضح من تعريفه - يسمي إيجاز القصر باسم الإشارة، فهي عنده: "أن يشتمل اللفظ القليل على معاني كثيرة بإيماء إليها وذكر لمحة تدل عليها"¹.

ونتقدم قليلا فنجد نجم الدين بن الأثير يقر ما شاع لدى البلاغيين قبله من أن إيجاز القصر يعني إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ.²

وهو لا يذهب بعيدا عما ذهب إليه البلاغيون من أن إيجاز القصر هو اختصار للفظ وسعة للمعنى مع توافر شرط الإيضاح والإفهام وحسن الدلالة.

أما الخطيب القزويني فنجد - بعد أن ساق كلام السكاكي برمته - يعترض عليه بقوله: "فيه نظر لأن كون الشيء نسبيا لا يقتضي أن لا يتيسر الكلام فيه إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي ثم البناء على متعارف الأوساط، والبسط الذي يكون المقصود جديرا به رد إلى جهالة فكيف يصلح للتعريف؟"³.

ويؤيد القزويني في ذلك محمد بن علي الجرحاني، إذ يرى أن هذا الحد الذي يحد به السكاكي الإيجاز إنما يصلح "على تقدير أن يكون متعارفهم محصورا في المساواة، لكنه ليس منحصرها فيها، إذ توجد في كلامهم ضمن الإطناب والإيجاز أيضا"⁴. ويحول محمد بن علي الجرحاني أن يضع حدا آخر للإيجاز، دفعه إلى أن يعيد ترتيب هذه القسمة الثلاثية الشائعة في الكلام باعتبار قياسها على المعنى، فالكلام عنده يعرض

¹ - شهاب الدين الحلبي، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، للطبعة الوهيبية بمصر، 1291 خ.

² - ينظر: نجم الدين بن الأثير، جوهر الكنز، تحقيق: د- محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، د، ت، ص 271.

³ - القزويني، الإيضاح شرح وتعليق، د- محمد عبد المفعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، 1949، ص 21، وانظر متن التخليص، شرح الشيخ البرقوني، مطبعة النيل بمصر 1904، ص 197.

⁴ - محمد بن علي الجرحاني، الإشارات والتنبيهات، في علم البلاغة تحقيق د - عبد القادر حسين، دار النهضة مصر 1977، ص

له خمسة أوصاف: الإيجاز والإطناب والمساواة والإخلال والتطويل " والأخيران مردودان بالإطلاق والثالث مقبول بالإتفاق، والأولان مقبولان إن وقعا موقعهما وإلا فمردودان"¹.

ولعل محمدا بن علي الجرحاني يزعم بذلك الحد أنه تقسيم خماسي منطقي للكلام حتى يهدف بذلك التقسيم الثلاثي الشائع، إلا أن تقسيمه الخماسي هذا لا يخرج عن مألوف ذلك التقسيم إلى الإيجاز ومساواة وإطناب، أما الإخلال والتطويل فأحدهما ينقص من بلاغة الإيجاز والآخر ينقص من بلاغة الإطناب. أو يمكن القول بأن الإخلال صفة للإيجاز مردودة، والتطويل صفة مردودة للإطناب، تدفع عنه بلاغته وتنقص فائدته.

فالتقسيم الثلاثي للكلام - نسبة إلى معناه - أقرب إلى المنطقية وطبائع الأشياء من تقسيم الجرحاني، الذي أتى بقسمين مردودين، وقد تشهد هو نفسه بهذا، فالإخلال والتطويل عنده مردودان بالإطلاق، أما أن يكون للكلام متعارف أوساط آخر يتصل بالإيجاز والإطناب كما يتصل بالمساواة فذلك مردود لأنه ألقى بالمساواة من الإيجاز والإطناب، ولأن هذا المتعارف.

- كما عبر عنه مبتكروه - في باب البلاغة لا يحمد ولا يذم، وذلك لا يصدق إلا على المساواة. أما الإيجاز فهو محمود حين يوفى المعنى، مذموم حين يخل به ولا يؤديه كاملا، مذموم إذا كان تطويلا يدفع إلى الملل.

فبأخذ تعريف السكاكي لمتعارف الأوساط في الحسبان نجد أنه لا يصدق على الإيجاز ولا على الإطناب وإنما هو للمساواة أقرب وفيها أدخل وبها أولى وأحق.

ولقد أقر القزويني نفسه هذا التقسيم الثلاثي بعد أن ساق اعتراضه على كلام السكاكي، إذ نجده يضع تعريفا آخر يجعله الأقرب والأولى فيقول: "المقبول من طرف التعبير عن المعنى: هو تأدية أصل المراد بلفظ مساو له أو ناقص عنه واف أو زائد لفائدته"² فهو يجعل التعبير طرفا ثلاثة لا يخرج عنها، ويضع لها

¹ - محمد بن علي الجرحاني، المصدر السابق، ص 140.

² - القزويني، الإيضاح، ص 271.

وسيطا يتعارفه الناس، فإذا حا عنه الأسلوب بالنقص فهو الإيجاز، ولكنه يحكمه بالوفاء بالمعنى، وإذا احاد الأسلوب بالزيادة فهو الإطناب ويحكمه بالفائدة من هذه الزيادة.

أما صاحب الطراز فنجده يردد في حديثه عن الإيجاز مصطلح الإشارة إذ يقول في معرض حديثه من غيجاز القصر: " ويقال له الإشارة أيضا" ¹

كنه حيث يعرفه يدل التعريف على أن معرفة هو إيجاز القصر كما اشتهر لدى البلاغيين، إذ يرى أنه: " اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل" ².

وقد أعلى العلوي من شأن إيجاز القصر حتى وسمه بأنه إيجاز البلاغة، فيقول: " وهذا القسم من الإيجاز له في البلاغة موقع عظيم، دقيق المجرى، صعب المرتقى، لا يختص به من أهل الصناعة إلا واحد بعد واحد ومهما عظم المطلوب قل المساعد" ³.

ويسوق العلوي تقسيم ابن الأثير للإيجاز كما بينا، ويمتدح فيه موقعه العظيم وشأنه الكبير في الدرس البلاغي الذي يجعله بمثل مكانة عالية، ومنزلة عظمى.

أما السيوطي فإيجاز القصر عنده هو " ما قد خلا من حذف شيء مما يؤدي به أصل المراد كمبتدأ. أو خبر أو مضاف أو نحوها وذلك بأن يتيسر للمتكلم بكلام لفظه قليل ومعناه كثير" ⁴. ويضع السيوطي لإيجاز القصر هذه المنزلة العليا، وذلك الحسن الذي يكون السبب فيه أن أيجاز القصر " يدل على التمكن في الفصاحة ولهذا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- " أوتيت جوامع الكلم" ⁵. وقد روى عن ابن شهاب في معنى حديث الشيخين "بعثت بجوامع الكلم" قوله: " بلغني أن جوامع الكلم أن الله - تعالى - يجمع لكم الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأميرين ونحو ذلك" ⁶ وقد فهم

¹ - ابن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982، ص 88.

² - المصدر نفسه، ص2، ص 11

³ - المصدر نفسه، ص 119.

⁴ - السيوطي، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، المطبعة اليمينية، 1307 هـ، ص 200.

وانظر: معترك الأقران، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، 1973، ج1، ص 296.

⁵ - انظر: البرهان في علوم القرآن للزكرشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، 1907، ج 1، ص 22.

⁶ - معترك الأقران، ج 1، ص 297

صاحب خزانة الأدب هذا الحديث النبوي انه الكلام الذي يجري مجرى الأمثال والحكم والمواعظ، فهو عنده: "أن يأتي الشاعر ببيت مشتمل على حكمه أو واعظ أو غير ذلك من الحقائق التي تجري مجرى الأمثال ويتمثل الناظم بحكمها أو وعظها أو بحالة تقتضي إجراء المثل"¹. فجوامع الكلم التي أوتيتها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إذن هي اجتماع هذه المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة مع حسن البيان والقدرة على الإيصال بأقرب طريق حتى يكون الكلام وجيزاً مختصراً.

أما المحدثون من البلاغيين فلا نجد بينهم كثي اختلاف فيما عرف به البلاغيون المتقدمون إيجاز القصر، وحدود به، فهو عند الشيخ محمد البسيوني "تقليل اللفظ وتكثير المعنى بلا حذف"². وقريب من هذا التعريف، تعريف الحملاوي³.

أما صاحب معجم المصطلحات البلاغية فيعرف إيجاز القصر بأنه "تقليل الالفاظ وتكثير المعاني"⁴. أو هو أن يكون اللفظ ناقصاً عن أصل المراد مع الوفاء به وإلا كان إخلالاً لا إيجازاً"⁵. وهو أيضاً "تحصيل المعنى الكثير باللفظ القليل"⁶.

ولم يكن المحدثون من البلاغيين ليتوقفوا عند دلالة التعريف فحسب، وإنما أقرؤا كذلك ما وضعه البلاغيون من شروط للإيجاز، وذلك بحسن الدلالة وإيصال المعنى، وعدم الإخلال به، مع إفادة المعنى المتحدث عنه، وكون إعادة الكلام شرطاً لحسن الإيجاز "أمر قرره السابقون ولا يختلف فيه أحد لا يكون الكلام مخللاً بالمعنى المقصود بسبب هذا الإيجاز"⁷.

¹ - ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، المطبعة الخيرية، 1304هـ، ص 117.

² - الشيخ محمد البسيوني، حسن الصنيع في علم المعاني والبيان والبديع، مطبعة ديوان عموم المعارف، 1880.

³ - انظر: الحملاوي: زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع، مطبعة هندية بالموكسي، الطبعة الثانية، 1910، ص 21.

⁴ - د- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة الجمع العلمي العراقي، 1913، ج1، ص 361

⁵ - د- درويش الجندي، علم المعاني، دار النهضة نصر، ط 2 1962، ص 160.

⁶ - د- أحمد النادي شعلة، علم المعاني، دار الطباعة المحمدية، 1910

⁷ - د- عبد القادر حسين، أثر النجاة في الدرس البلاغي، دار النهضة مصر، 1970، ص 216، 217.

ولهذه التعريفات وتلك الشروط التي وضعها البلاغيون، قد يهمهم ومحدثهم، لإيجاز القصر، فهو يعد "أعلى طبقات الفصاحة مكان وأسمائها منزلة"¹.

ومكانة إيجاز القصر في علم المعاني وفي علوم البلاغة أمر قد تنبه إليه كثير من البلاغيين، وما كان ذلك إلا لعظم شأنه، وما يمثله من مكانة عليا في طرق التعبير وفنون القول، حتى لنجد الجاحظ - وهو من أوائل من كتبوا في البلاغة- "يخص الإيجاز بما تضمنت فيه العبارة القليلة الكثير من المعاني وهو معنى إيجاز القصر"²، فالجاحظ إذا هو الذي "أضف إلى معارف سابقة"³ من النجاة كسبويه وأبي عبيدة والفراء " ما عرف بإيجاز القصر، وإن لم يسميه"⁴.

إلا أن الجاحظ قد جعل رأيه في الإيجاز كراهيه في البيان عامة، إذ جعل البيان أن تكون الألفاظ والعبارات على قدر المعاني " وبناءا عليه يمكن القول بأن العبارة الموجزة التي تعطي معاني أكثر من ألفاظها بلاغة، وبقدر ما قل اللفظ وزاد المعنى، بقدر ما ارتفعت نسبة القول في مراتب البلاغة حتى نصل إلى درجة الإعجاز ممثلة في عبارات القرآن الموجزة"⁵.

فقد أدرك الجاحظ قيمة إيجاز القصر في الدرس البلاغي، إذ أنه " غريبة وتنمية وقل وتصفية وتركيز، وذلك لا يتهيأ إلا بدوام النظر وطول العهد"⁶، وتلك مزية التظاهر للإيجاز على الإطناب، فهو " يزيد في دلالة الكلام من طريق الإيجاء، ذلك أنه يترك على أطراف المعاني طلالا خفيفة يشتغل بها الذهن، ويعمل فيها الخيال حتى تبرز وتتلوث وتتسع ثم تتشعب إلى معان أخرى يتحملها اللفظ بالتفسير أو بالتأويل".

ولهذا الظلال التي تشغل الذهن، ويعمل فيها الخيال وتلك المعاني الأخرى التي تتشعب عن المعنى الواحد بحيث يتحملها اللفظ تفسيرا أو بالتأويل تأويلا. لهذا كله يعد الرماني إيجاز القصر أدق من غيره

¹ - عبد القادر حسين، فن البلاغة، مطبعة الأمانة، 1977، ص 195

² - د- فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ على البيان والتبيين، دار التوفيق النموذجية، 1913، ص 207.

³ - د- عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف، 1971، ص 344

⁴ - المرجع نفسه، ص 344.

⁵ - د- محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي، دار المعارف، د.ت، الطبعة الثالثة، ص 94.

⁶ - د- عبد الفتاح لاشين، المرجع السابق، ص 344.

ويرجع ذلك إلى معرفة المواضع التي يصلح فيها والمواضع التي لا يصلح فيها، فيقول: " وحينما نتأمل إيجاز الفصل نجد له طبيعة خاصة تجعله متميزاً"¹.

وهذا التميز الذي يقام عليه إيجاز القصر، وينبثق عنه يجعله في تلك المرتبة العليا، فهو " تطويع المعنى الكثير وإلباسه بنية لفظية قليلة، وهذا جهد صعب لأنه يعني ضغط المعنى ضغطاً حاداً لا يضيع منه شيئاً عند مد اللفظ القصير عليه وبسطه حتى يستولى على كل دقيقة في حاشية المعنى"².

ولعل من المهم في هذا المقام أن نسوق ما قد شاب مصطلح إيجاز القصر من اللبس عند بعض العلماء، فأحياناً يساق المصطلح يفتح القاف وتسكين الضاد، وأحياناً - وهذا هو الأغلب - يكسر القاف وفتح الصاد.

والقصر في اللغة: الحبس، " يقال قصرت اللقحة على فرس، إذا جعلت لبنهاله لا لغيره"³، قال تعالى " (حور مقصورات في الخيام)"⁴

وأما معناه في الاصطلاح فهو تخصيص شيء بطريق مخصوص، وذلك " كتخصيص المبتدأ بالخير بطريق النفي في قوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)"⁵ وتخصيص الخبر بالمبتدأ مثل " ما شاعر إلا المتنبّي"⁶.

¹ - د- محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، مطبعة المختار الاسلامي، 1914، ص 92.

² - المرجع السابق، ص 93

³ - علي بن محمد بن علي الجرحاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، 1980، القصر 1139، ص 230.

⁴ - سورة الرحمان، آية 72.

⁵ - سورة الحديد، آية 20.

⁶ - د- أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، بغداد، 1980، ص 176

وللقصر مواقعه، كما أن له أقساما يتقسم إليها بحسب الحقيقة والإضافة أو باعتبار طرفيه، وطرفاه هما المقصور والمقصور عليه، ففي قوله تعالى (ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله)¹.

نجد ما يفيد أن " الإمساك الطير في جو السماء دون أن تسقط مقصورا على الله لا يتحداه إلى غيره، فالمقصور هو هذا الإمساك والمقصور عليه هو الله عز وجل"² وأيضا في قوله تعالى: (أو لم يتفكر وأما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين)³. نجد أسلوب قصر، إذ أفاد تخصيص الرسول بصفتي الإنذار والإبانة أي قصره عليهما بحيث لا يتعداهما إلى غيرهما"⁴.

وبالنظر إلى هاتين الآيتين ندرك أن " تخصيص الشيء معناه إثبات المقصور للمقصور عليه ونفيه عن غيره، أي أن جملة القصر تتميز بأنها تتضمن حكمتين أحدهما مثبت والآخر منفي، فهي في قوة جملتين"⁵.

وربما كان هذان الحكمان اللذان تحوي عليهما جملة القصر هما اللذان يجعلان ثمة علاقة بين الإيجاز وأسلوب القصر، إلا أنها علاقة عموم وخصوص، لا علاقة إحلال -إن صح هذا التعبير- فلا يجوز أن ينتمي بها إيجاز القصر. فإن كانت جملة القصر في قوة جملتين إحداها مثبتة والأخرى منفية، فإن ذلك يدل على أن " بلاغة الإيجاز تظهر فيه بوضوح أي أن الإيجاز بعد ضمن الأغراض التي يحققها هذا الأسلوب"⁶

¹ - سورة النحل، آية 79

² - د- السيد عبد الفتاح حجاب، من أسرار التركيب البلاغي - المكتبة التوفيقية 1977، ص 77.

³ - سورة الأعراف، الآية 184.

⁴ - د- السيد عبد الفتاح حجاب، المرجع السابق، ص 77.

⁵ - المرجع نفسه، ص 77.

⁶ - المرجع نفسه، ص 71

ومادام الإيجاز محدودا ضمن الأغراض التي يحققها أسلوب القصر – بوصفه مبحثا من مباحث على المعاني – فلا يكون ذلك مبررا بأي حال أن يلتبس مصطلح القصر، بوصفه أسلوبا له خصائصه ودواعيه وأركانه – بإيجاز القصر أما أن يكون لأحدهما بالآخر وشيخة وهذا ما لا نستطيع إنكار.

ولعل ذلك اللبس قد وقع عند بعض المتأخرين، إذ يستعين السيوطي بما قاله الطيبي في التباين من أن الإيجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام أولها: إيجاز القصر وهو – عنده – " أن يقصر اللفظ عن معناه"¹ وهذا ما عينه صاحب الإيضاح في تقسيمه الإيجاز قسمين، وسمى الأول منهما إيجاز القصر وهو ما ليس بحذف.

وقد يقصر اللفظ عن معناه ويسمى (المساواة) وليس (إيجازا)، إلا أن مصطلح المساواة قد أخذ موقعا خاصا لدى البلاغيين وإن اختلفت تسميته، فهو (تقدير) عند ابن الأثير: " الذي يمكن التعبير عن معناه بمثل ألفاظه وفي عدتها"². وهذا التعريف هو ما ذهب إليه البلاغيون بعده بتسميه معرفة باسم " المساواة"، وإن كان السيوطي قد عرف " إيجاز التقدير" هو " المساواة" عينها بما يدخله ضمن مصطلح " إيجاز"، وليس هذا فحسب.

وإنما ألبسه بمصطلح آخر، ورد عند أسامة بن منقذ – كما تقدم – وهو يقدر معنى زائدا على المنطوق ويسمى بالتضييق أيضا لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه"³، ومصطلح " التضييق " قد حده أسامة بن المنقذ من قبل بقوله " أن يضيق اللفظ عن المعنى لكون المعنى أكثر من اللفظ"⁴، إلا أن هذا الدليل الأخير في عبارة السيوطي يوحي بأنه يعني بإيجاز التقدير إيجاز القصر، وقد أفرد أفرد للأخير ضربا خاصا أطلق عليه " الإيجاز الجامع"، وعرفه بقوله " هو أن يحتوي اللفظ على معان

¹ – السيوطي، معترك الأقران، ج 1، ص 296

² – ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص 319

³ – السيوطي، معترك الأقران، ج 1، ص 297

⁴ – أسامة بن المنقذ، البديع في نقد الشعر، ص 155

متعددة¹، وضرب له أمثلة تدل على أنه يعني به إيجاز القصر بوصفه مصطلحا استقر لدى البلاغيين على مبحث بعينه.

وإذا كان البلاغيون قد اختلفوا فيها بينهم بصدد تحديد المصطلح ودفع ما يشوبه من اضطراب، فإنهم قد اتفقوا على تحديد قيمته، وإبراز قدره في ميزان البلاغة، وذلك لأن " سبيل المتكلم الإفهام وبغية المتعلم الاستفهام فأحق الكلام على الناطق مؤونة وأسهله على السامع محملا ما فهم عن ابتدائه مراد قائله وأبان قليله ووضح دليله، فقد وفّت العرب الإيجاز فقرة وذكرت الإختصار ففصلته"².

ولهذا المقام الذي يشغله إيجاز القصر فإنه يحتاج إلى " فطنة ووعى وسيلة درية تعريف كيفية نصطلح الأسلوب والإيجاء، واللفظ فيه يدل على معنى وبمومئ بثان وثالث"³ حتى لا يستطيع هذا المبحث أن يسهم إنها ما كبيرا في إبراز بلاغة القرآن الكريم " الوقوف على وجه إعجازه واستنباط دقائق تشريعاته"⁴، فالنص القرآني يعد معجزة الدهر في هذا الصدد، ولذلك نرى الثعالبي يقول: " من أراد أن يتعرف جوامع الكلام وينتبه إلى فضل الإعجاز والإختصار ويحيط ببلاغة الإيجاء ويفطن لكفاية الإيجاز فليتدبر القرآن وليتأمل علوه على سائر الكلام"⁵.

والمتعرض أسلوب القرآن بدراسة يلمح هذا المبحث جليا في سائر سورة إلا قليلا، فمتى سار الباحث مهتديا بملامح إيجاز القصر التي وضعها. البلاغيون على مر العصور، وجد القرآن زاخرا به.

إلا إن هذه الملامح لم يكن لها ضابط محدد نستطيع الإهتمام به في عمل إحصاء كامل لأي القرآن. ومن ثم كان التزاما علينا – قبل أن نستبظ من آي القرآن ما عسى أن يكون داخلا ضمن إيجاز القصر – أن نحاول

¹ – السيوطي، معترك الأقران، ج1، ص 296.

² – الثعالبي، قواعد الشعر، شرح وتعليق، د- محمد عبد المنعم خفاجي، الحلبي، 1941 ص 61.

³ – د- محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، ص 93.

⁴ – د- عبد العزيز عبد المعطي، تاريخ نشأة علوم البلاغة، دار الطباعة المحمدية، ص 13.

⁵ – الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، شرح اسكندر آصافن المطبعة العمومية، لمصر ص 10

وضع ضابط تهتدي به في ذلك، غير مخلصي الأمر لحدس الباحث أو ذوقهن هذا الذوق وذلك الحدس اللذان اعتمد عليهما البلاغيون في هذا المبحث بخاصة.

إن محاولة وضع ضابط لإيجاز القصر في القرآن الكريم ليس الشيء المحال، ولا بالصعب الذي ينال بحيث يتعد عنه الدارس، ويسير - كما سار السابقون - وقف قواعد مائجة، مضطربة، تأخذ الباحث بالخبر والتخمين أكثر مما تأخذه بالقاعدة والتقنين.

ولا ينبغي بأي حال أن يتوقف البحث البلاغي اتجاه تلك النماذج المكررة لإيجاز القصر، حتى يجمد عند هذا الحد ولا يتعداه إلى نماذج جديدة قد تكتشف لأول مرة في ذلك النص المعجزة والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والناظر في تلك الشواهد التي ساقها البلاغيون يجد ملمعا أسبابا يجمعها ويكاد يتفنها. وإن لم تكن تقصودا - حتى يصل بنا إلى ذلك الضابط الذي يسعى إليه، وتحاول وضعه لهذا المبحث حتى يكون ضمن قواعد تلك المباحث الأخرى التي يحتويها على المعاني بخاصة وعلم البلاغة بوجه عام.

ولا شك في أن الشواهد البلاغيين على إيجاز القصر في القرآن الكريم تتبع جميعا عن هذه التعريفات التي عرفوا بها ذلك النوع من الإيجاز وهو - وإن اختلفت - نصب جميعها في مصب واحد وأن إيجاز القصر ما كان بلفظ قليل ليدل على معان كثيرة.

أنواع الإيجاز: قسم البلاغيون الإيجاز إلى قسمين هما:

1- إيجاز القصر: وهو تضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة، - من غير حذف - وذلك لأن الألفاظ تتفجر منها شحنات نفسية ودلالة هامشية نتعاون في بيان المضمون، أو يمكن أن نقول أنه الإتيان بلفظ قليل تحته معان جمة، ونجد في القرآن الكريم أمثلة رائعة وكثيرة جدا عن إيجاز القصر حيث يرى فيها متدبر وكتاب الله المجيد قصرا في ألفاظه، وثروة واسعة في معانيه ودلالته مع أنها لا تنطوي في طياتها محاذيق، بل جاءت تورة المعاني من منطوق الألفاظ المختارة بعناية فائقة، فإيجاز القصر هو ما نزيد فيه المعاني

علماً لألفاظ المختارة ولا يقدر فيه محذوف. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: "ولكم في القصص حياة"، فإن معناه كثير، ولفظه يسير، إذ المراد أن الإنسان إذا علم أنه متى قتل قتل، امتنع عن القتل، وفي ذلك حياته وحياة غيره لأنه القتل أنفى للقتل وبذلك تطول الأعمار، وتكثر الذرية ويقبل كل واحد على ما يعود عليه بالنفع، ويتم النظام، ويكثر العمران، فالقصص هو السبب ابتعاد الناس عن القتل، فهو الحفاظ للحياة، وهذا القسم من الإيجاز مطمح نظر البلغاء، وبه تتقارن أقدارهم، حتى أن بعضهم سئل عن البلاغة فقال "إيجاز القصر".

ولقد جاء في وصف خاتم المرسلين محمد بن عبد الله المطلب صلى الله عليه وسلم أنه أتى جوامع الكلم، ونجد في أقوله أمثلة كثيرة جداً ينطبق عليها عنوان "إيجاز القصر"، ألفاظها قليلة، ومعانيها غزيرة، دون أن يكون فيها أي يدل على الكلام مطوي محذوف عن اللفظ، مشار إليه بقرينة من قرائن المقال، أقران الحال، أو الإقتصاد العقلي¹.

ونجد أيضاً إيجاز القصر عند الكتاب ومن أمثلة ذلك ما كتبه جعفر بن يحيى البرمكي لبعض عماله: "قد كثر شاكوك، وقل شاكروك فإما اعتدلت وإما اعتزلت"، ونستنتج مما ذكرنا سابقاً أن هذه العبارات الوجيزة من معانٍ عزيزة، صيغت في عبارات قليلة وألفاظ موجزة، وهذا هو الشأن دائماً في إيجاز قصر الذي يجري مجرى الأمثال في الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة، إذا هو أعلى طبقات الإيجاز مكاناً وأعوزها إمكاناً.

2- الإيجاز بالحذف:

أما الإيجاز بالحذف هو الضرب الثاني من الإيجاز، وهنا أذكر أهم ما قيل في تعريف هذه الظاهرة قول الجرحاني في كتابه "دلائل الإعجاز" ما يلي:

¹ عبد الرحمن حسن حبكة، الميداني البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم دمشق، الدار الشامية، بيروت، ج2، ط1،

" هو باب دقيق المملك لطيف المأخذ العجيب الأمر شبيه بالشعر وذلك لأنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجهدك أنطق ما تكون إذ لم تنطق، وأتم ما تكون مبينا إذا لم تبين، وهذه جملة تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر¹.

ويعتبر هذا النوع الذال على الإيجازات البلاغية التي تعطيك زحما من المعاني الكثيرة بالجمل القليلة، فلا تحتاج إلى الإسهاب والإطناب في صياغة الفكرة والمعنى، وإن كان من عوامل جمالها، والإيجاز الحذف فوائد عديدة من بينها:

- 1- إيراد المعنى الواسع بلفظ قليل
- 2- التنسيق الموسيقي
- 3- التخلص من التكرار الممل
- 4- نعويد العقل على استجلاء المعنى، واستنباله والتمتع فيع

ولقد ورد هذا النوع من الإيجاز في مواضيع عديدة فقد نسقط كلمة أو جملة، أو جملا دون الإخلال بالمعنى لأن هذا الحذف يزيد المعنى وضوحا:

1- حذف الحرف: مثال ذلك قوله تعالى على لسان مريم: " قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسنني بشر ولم أك بغيا"²، الأصل ولم أكن فحذفنا النون تخفيفا.

2- حذف الكلمة: وقد تكون هذه الكلمة

أ- مضافا: وهو كثير في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: " وجاهدوا في الله حق جهاده"³، أي سبيل الله.

ب- مضاف إليه: والأمثلة على هذا كثيرة، من بينها قوله تعالى: " وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر"¹ أي بعشر لياي .

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قراءة وعلق عليه أبو فهد محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 146.

² سورة مريم الآية 20

³ سورة الحج، الآية 78.

ت - صفة: وهذه نادرة في كلام العرب، تقتضي مجيء قرينة تدل عليها، تتقدمها أو تتأخر عنها أو تفهم من شيء خارج عنه، ومما جاء منه في القرآن الكريم قوله تعالى: " وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا"²، أي كل سفينة صالحة فقد تدل على ذلك قرينة تقدمت الصفة المحذوفة وهي: " فأردت أن أعيبتها"، فأعابته السفينة يشير إلى أنها كانت صحيحة.

بلاغة الإيجاز:

إن من يتبع ويقرأ تراث العرب البلاغي يلحظ الإختفاء بالإيجاز طاهرا عند البلغاء والبلاغيين على حد السواء، فالجميع يفضلون الإيجاز، والبليغ عندهم من أصحاب الغاية بقليل اللفظ، وهذا لا يعني أنهم لم يعرفوا الإطناب أو لم يستعملوه في كلامهم، بل عرفوه واستعملوه، مع هذا يعني الإيجاز هو الأصل والمبدأ المقدم الذي لا يخالفه الكلام إلا لسبب عارض، لذا كان الإيجاز مقياسا من مقاييس البلاغة عندهم.

فالعرب بطبيعتهم " إلى الإيجاز أميل وعن الإكثار أبعد"³.

فهم يقدمون المعنى الكثير في القول القليل ويستحسنونه، ويعيبون الإطالة في أداء المعنى، وقد قالت بنت الطبة لأبيها ما بال قصارك أكثر من طولك؟ فقال: لأنها في الآذان أوج، وبالأفواه أعلق.....

ولقد كانت البلاغة عند العرب تتمثل في الإيجاز في المباني اللغوية،⁴ حيث نجد أن هذا الأسلوب يطغى على كلام الشعراء والكتاب والأدباء، كما تجلى ذلك في القرآن الكريم وأيضا في كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولعل أكبر دليل على اهتمام النقاد ورجال البيان العربي بالإيجاز وبالكلام الموجز ما ورد في كتاب الخصائص:

¹ - سورة الأعراف الآية 142.

² - سورة الكهف، الآية 79.

³ - ابن جني، الخصائص: تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، المكتبة العلمية، ج1، ص 83

⁴ - حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، جامعة أم القرى، 1914هـ 1446م، ص 227.

" إنهم إذا كانوا في حال إكثارهم وتوكيدهم مستوحشين منه، مصانعين عنه علم أنهم إلى الإيجاز أميل، وبع أعني وفيه أرغب، ألا ترى إلى ما في القرآن وفصيح الكلام من كثرة الحذوف..... والإكتفاء بالقليل من الكثير.... مما يزيد الشك عنك في رغبتهم فيما حق وأوجز، عما طال وأمل، وأنهم متى اضطروا إلى إطلالة بداعي حاجة، أبانوا عن ثقلها عليهم، واعتادوا بما كلفوه من ذلك بأنفسهم، وأنه ليس كغيره مما ليست له حرمة، ولا النفس معينة به.

نعم ولم يكن في الإطلالة في بعض الأحوال إلا الخروج إليها عما قد ألف وممل عن الإيجاز لكان مقنعا"¹.

ومن مظاهر الإحتفاء بالإيجاز عند العرب ما نجده من تلازم بينه وبين مفهوم البلاغة، حتى بلغ بهم الأمر إلى أن جعلوه البلاغة هي الإيجاز نفسه، قال معاوية لصحار العبدى: " ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز. قال معاوية: وما الإيجاز؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ"²، وقد سئل بعض البلغاء: ما البلاغة فقال: " البلاغة إجماع اللفظ وإشباع المعنى"³، وقيل لأحدهم: ما البلاغة؟ قال: " إصابة المعنى وحسن الإيجاز"⁴، كما أننا نجد الجاحظ يتطرق إلى مفهوم الإيجاز في عدة مواطن فهو عنده: " الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه"⁵، من هنا بدأ البلاغيون يحددون للإيجاز مواضعه فالإيجاز هو المفضل عند العرب وهو السمة الظاهرة في كلام القدماء، وقد اتفقوا عليه في عرفهم الفني، وأصبح مظهر من مظاهر بلاغتهم.

¹ - ابن جني، الخصائص: تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، المكتبة العلمية، ج1، ص87

² - الجاحظ البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخفاجي للطباعة والنشر والتوزيع، 1948، ج1 ط7 1418، 1998 ص96.

³ - ابن رشيق القيرواني، العمدة، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ج1، ط5، 1981، 1401، ص242.

⁴ - نفسه ص242.

⁵ - الجاحظ البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخفاجي للطباعة والنشر والتوزيع، 1948، ج1 ط7 1418،

1998 ص17

الفصل الثاني



توطئة:

يتميز الحديث النبوي الشريف بأعلى مقاييس البلاغة، والبيان الواضح، والإيجاز الوافي، الذي يعبر عن الكثير من المعاني مع قليل من الألفاظ، الإيجاز بنوعيه له ادوار نفسية في ذهن السامع، وهو توسع في الدلالة الإيحائية فيفتح المجال للتخيل والتصور، فقد كان عليه الصلاة والسلام يكره الإطالة في الكلام بما يجاوز مقدار القصد به فقد تكلم عنده رجل فأطال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "كم دون لسانك من حجاب؟ فقال شفتاي وأسناني، فقال له: وان الله يكره الانبعاث في الكرم، فنظر الله وجهه رجل أوجز في كلامه واقصر على حاجته".¹

وهذا لا يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يطيل في الكلام إن رأى وجهها للإطالة، فقد كان ربما فعل ذلك؟ فأسلوبه في أحاديثه الشريفة يجمع بين خاصيتي المساواة والإشارة وليس فيه ألفاظ زائدة على المعنى وخاصيته الإيجاز في كلامه صلى الله عليه وسلم صدى مضيئاً، أو رجماً قولياً صادقا لقوله: أوتيت جوامع الكلام.²

وتعد بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم من ابرز مظاهر عظمته، وأجلى دلائل نبوته، فهو صاحب اللسان، المبين والمنطق المستقيم والحكمة البالغة والكلمة الصادقة، أما فصاحته فلم يجاريها احد من العرب على انه لا يتكلف القول ولا يقصد إلى تزنيه ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده.

وهذا الجاحظ معلم البلاغة ورائدها يصف فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: "وهو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف، استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصود في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن المهجين الشوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمته، ولن يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وتسيد بالتأييد، ويسر

¹ - أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح، عبد السلام ممد هارون، مكتبة الخانجي. القاهرة، ج2، ط7، 1418-1998، ص17.

² - نفسه، ص ص 16-28.

بالتوفيق، وهو الكلام الذي القى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا افحصه خطيب، بل بين الخطب الطوال بالكلام القصار ولا يلتبس إسكات الخصم إلا لما يعرفه الخصم، ولا يحتاج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلجاء إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس لكلام قط، اعم نفعاً ولا اصدق لفظاً، ولا اعدل وزناً ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعا، ولا أسهب مخرجا ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم.¹ هذا النص على طوله قصر، وفي **اظابه** إيجاز يصف كلام النبي صلى الله عليه وسلم في قصة ألفاظه وجز له معانيه وروعة بيانه.

المبحث الأول: مفهوم الحديث النبوي الشريف وبلاغته.

المطلب الأول: مفهوم الحديث

لغة: الجديد ضد القديم، وقال أبو البقاء: الحديث هو اسم من التحديث والإخبار. وجمعه أحاديث كقطيع واقاطيع وهو شاذ على غير قياس.²

اصطلاحاً: هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، أي هو ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال حدث بها، أو أفعال قام بها، أو إقرارات تظهر في موافقته على ما يحدث بناء على ما رأى العلماء، والحديث هو ما جاء من قول أو فعل أو تقرير، يشير إلى أمر أو **ذهني** أو إرشاد أو نصح، أما ما يتعلق بصفات الرسول الخلقية والخلقية، لا دخل له في ذلك ولا يعد حديثاً، بالإضافة إلى أقوال الصحابة والتابعين فهي ملحقة بالحديث لإتباعها لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم فهي تفيد في معرفة علم الحديث وما يمكن الاستفادة منه في المجال الديني³ فالحديث

¹ - من حديث طويل : أخرجه أبو داود، السنن 281/4.

² - فتاوى ابن تيمية ، كتاب الحديث، مجلد 18، ص 7.

³ - محمود التحاق، تيسير مصطلح الحديث، مركز الهدى للدراسات، الإسكندرية، 1415هـ، ص 30.

هو ما اسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتعلق بالدين والأخلاق والسلوك والنصائح والإرشادات ومن هنا يظهر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين, تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ "1.

لذلك وجب التصديق عن كل ما يأتي عن النبي صلى الله عليه وسلم وإتباعه والأخذ به. كما أشار بن تيمية: " إن الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت على أنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله عز وجل، فلا يكون خبرهم إلا حقا، وهذا معنى النبوة فالله ينبتهم بالغيب والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه .. "2

ومما لا شك فيه أن تعرضنا لمفهوم الحديث قد فرض علينا التطرق إلى أنواعه حيث قسم الحديث إلى ثلاثة أقسام، الصحيح والحسن والضعيف، وذلك لتمييز صحيح الحديث من ضعفيه، ومعرفة الأحاديث القريبة من السقيمة . وسنتناول هذه الأنواع بالشرح والتحليل والتمثيل:

أولا : الحديث الصحيح

لغة: الصحيح ضد السقيم.

اصطلاحا: هو ما اتصل سنده برواية الثقة عن الثقة، من غير شذوذ ولا علة³ . وهذا الحديث اشتمل على أعلى صفات القبول وهي خمسة:

1/ اتصال السند: ومعنى هذا أن كل راو قد سمع عن من فوقه ومن فوقه سمع من الذي فوقه إلى آخر السند، مثال: قول البخاري ، مثنى عبد الله بن يوسف اخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي

1 - من حديث طويل : أخرجه أبو داود، السنن 281/4.

2 - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله النجاري الجعفري، صحيح البخاري، ص30، اليمامة-بيروت، دار بن كثير، ج50، ص2054.

3 - محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحه، دار الفكر، ط6، 1138هـ/1967م، ص305.

هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: (طعام واحد كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة)¹.

فهذا سند متصل ومن ذلك أن البخاري قد سمع الحديث من عبد الله وهو سمعه من مالك وهو سمعه من أبي الزناد هو سمعه من الأعرج وهو سمعه من أبي هريرة وهو سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2/عدالة الراوي: أن يكون الراوي في ذلك السند عدلاً، والعدل نعني به المسلم السالم من الفسق، حسن الخلق، فالكافر والمجنون مثلاً ليس عدولاً.

3/ ضبط الرواة: المراد به كون الراوي أن يكون حافظاً لما يرويه، وإن ثبت ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء.

4/عدم العلة: معنى ذلك خلو الحديث من العلة، والعلة وصف خفي يفتح في صحة الحديث مع أن ظاهره سليم.

5/عدم الشذوذ: معنى ذلك انه لا يخالف الثقة أي من هو أرجح منه من الرواة².

فإذا اختل شرط من هذه الشروط فلا يسمى الحديث صحيحاً.

وينقسم الصحيح إلى قسمين: الصحيح لذاته والصحيح لغيره.

الصحيح لذاته: هو الذي استوفى جميع صفات القبول، والصحيح لغيره: هو الذي استوفى شروط الصحة – السابق ذكرها، إلا أن ضبط الراوي غير تام، كأنه تعثره الغفلة أو النسيان في بعض

¹ - محمد عجاج خطيب، المرجع السابق، ص305.

² - المرجع نفسه، ص331.

الأوقات وذلك النقص يعالج بطرق أخرى أي من أحاديث أخرى تامة الضبط، حينئذ يرتقي الحديث الى درجة الصحة، فأصبح صحيحا لغيره¹.

ومثال ذلك: حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لولا أن شق عل أمتي لإمرتهم بالسواك عند كل صلاة".

ويشير العلماء الى أن محمد بن عمرو بن علقمة من المشهورين بالصدق، اذ قد روى في الحديث عن شيخ محمد بن عمرو وعن شيخ شيخه، فقد رواه عن أبي هريرة، الأعرج وسعيد المقبري وأبوه وهم ثقة².

ثانيا: الحديث الحسن

مفهومه:

لغة: من الحسن وهو الجمال.

اصطلاحا: اختلف العلماء في تعريفه لأنه يتوسط الصحيح والضعيف، وهو بدوره ينقسم الى نوعين:

1/ حسن لذاته: سمي بذلك ، لان حسنه ناشئ من شيء داخل فيه، ذاتي له. مثاله: حديث رواه أبو داوود في سننه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوذا ، فنجد أن هناك تشابه بين الحسن والصحيح لان كلاهما مروى عن ثقة، حتى أن طائفة من أهل الحديث جعلت الحسن مندرجا في الصحيح ولم يجعلوه نوع منفردا³.

2/ الحسن لغيره: يعرض علماء الحديث بأنه الحديث الذي فقد شرطا من شروط الصحة، كان يكون في إسناده راو مستور، من غير أن يكون متهم بالكذب أو الفسق، ولهذا يمكن أن يعالج ويرقى

¹ - المرجع نفسه، ص331.

² - نور الدين عنز، منهج النقد ، ص265.

³ - عبد الكريم الرديني، مباحث في تاريخ الحديث ومصطلحه، شركة الشهاب الجزائر، ص100-101.

الى درجة الحسن ، إلا انه حسن لغيره. وبعض العلماء يقول بان الحسن لغيره حديث ضعيف لأنه فقد شرطاً من شروط الصحة.

: ما رواه الترمذي عن عبد الله بن ربيعة عن أبيه أن امرأة من بني فزاره تزوجت على نعلين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ارضيت من نفسك ومالك نبعلين؟". قالت: نعم , فاجا -قال الترمذي فعاصم ضعيف لسوء حفظه- وقد حسن له الترمذي هذا الحديث لمحيئه من غير وجه¹.

ثالثاً: الحديث الضعيف

تعريفه:

لغة: ضد القوي، والضعف حسي ومعنوي والمراد هنا الضعف المعنوي.

اصطلاحاً: هو الذي لم تتوفر فيه شروط الصحة أو شروط الحسن².

وتتعد أنواع الضعيف وقد وصلت عند بعض المحدثين الى ما يزيد عن الخمسين أو الستين نوعاً وسنعرض فيما يلي بعض أنواعه مع التعريف:

1/ **الحديث المرسل**: هو الحديث الذي يرفعه التابعي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم, كقول نافع : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا.....

2/ **المنقطع**: ما سقط من سنده راوي موضع أو أكثر، وهو يتداخل مع المرسل إلا أن الفرق يكمن في أن المرسل لا يذكر فيه الصحابي، أي يسقط والمنقطع ما سقط فيه راو أي موضع غير الصحابي.

3/ **المعضل**: هو الذي يسقط من إسناده راويان أو أكثر، فهو قريب الشبه من المرسل والمنقطع إلا انه اضعف منهما.

¹ - د نور الدين عنز، منهج النقد، ص280.

² - د محمد أديب صالح، لمحات في أصول الحديث، د ط، ص193.

4/المدلس: ومعناه إخفاء عيب في الإسناد وهو أن يروى الراوي عم عاصره ول يلقه أو لم يسمع عنه.

مثال الضعيف: حديث: "أبي الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يعلم" أخرجه الفردوسي عن عمر بن راشد عن عبد الرحمن ابن برملة عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة مرفوعا، وفيه راوي على غاية الضعف هو عمر بن راشد (وهكذا يضعف الحديث من ناحية السند الذي يضم راو مجرح وبلغ غاية الضعف) وان كان معنى الحديث صحيحا.

ومن أن نلاحظ تشدد علماء الحديث حتى من ناحية الشكلية، وهي حالة السند، إذ لا بد أن تتوفر كل الشروط التي وضعوها لصحة الحديث¹.

حكم الأحاديث ومصنفاتها:

1/حكم الصحيح: الحديث الصحيح حجة، ويجب العمل به لتوفره على شروط الصحة، و من مصادره: موطأ الإمام مالك بن انس، صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داوود، جامع الترمذي- وغيرها.

2/ حكم الحسن: مثل الصحيح في الاحتجاج والعمل به وان كان دونه في القوة، أما مصادره: مسانيد أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثني، وله المسند الكبير والمسند الصغير وقد جمع فيهما جل الأحاديث².

¹ - راجع تدريب الراوي للسيوطي ومخات في أصول الحديث للدكتور محمد أديب صالح، ص 236. ينظر: الحديث محمد حجاج الخطيب، ص 340.

² - د محمد أديب صالح، لمخات في أصول النحو، ص 156.

3/ حكم الضعيف: اختلف العلماء في العمل به، وقد اجمع جمهور العلماء على استحباب العمل به في فضاء الأعمال لكن بشروط: أن يكون الضعف غير شديد، أن يندرج تحت أصل عام في لدين، أن لا يعتقد عن العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط¹.

أما الكتب التي اهتمت بالحديث الضعيف هي: كتاب الضعفاء لابن حبان، ميزان الاعتدال للذهبي والمراسيل لأبي داود².

بلاغة الحديث النبوي الشريف:

يعد المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرن الكريم، فكل ما يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم

هو وحي من عند الله قال تعالى: " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى " ³. فإذا كان القرآن الكريم يمثل قصة البلاغة وذروة البيان، فإن السنة تأتي في المحل الثاني، ذلك أنها جاءت لتفصيل شرح ماجاء في القرآن الكريم⁴، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أوتيت القرآن ومثله معه"⁵ ومعنى ذلك أن الحديث النبوي حكمه حكم القرآن الكريم من جهة المصدر وهو الوحي، مع تميز القرآن عن السنة النبوية في أنها تنسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعناها من عند الله عز وجل.

وتعد بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم من ابرز مظاهر عظمته، وأجلى دلائل نبوته، فهو عليه الصلاة والسلام صاحب اللسان المبين والمنطق المستقيم والحكمة البالغة، والكلمة الصادقة، والمعجزة الخالدة، أما فصاحته فهي من السمة الذي لا يؤخذ فيه على فقهه، فان العرب وان هذبوا الكلام

¹ - باختصار وتصرف من كتاب أصول الحديث للدكتور محمد حجاج الخطيب

² - محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، تح: مصطفى مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط2004، م1، ص173-174.

³ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني، نجم، 3-4.

⁴ - كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ، بيروت لبنان، ط1984، م1، ص12.

⁵ - أخرجه أبو داود في سننه، باب لزوم السنة، رقم الحديث 4591.

وصدقوه مع ذلك لم يسلموا من عيوب الاستكراه والزلل والاضطراب، بيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب لأنه لا يتكلف القول ولا يقصد تزينه ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده¹.

المبحث الثاني: الخصائص البلاغية للحديث النبوي الشريف

إن بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه وتقتصر مقاييسه عن مقياسه، فنحن لا ندرك كنهه وإنما ندرك أثره²، فقد اتسمت البلاغة النبوية بقدرتها على التصوير الموحى والتشبيه الموضح مما يدل على موهبة فذة باستعمال الصور الجميلة، ودنت منها فاقتطفت مارق منها وراق، فأنت في الحديث أمام لوحات فنية رائعة ممتعة ساحرة تعجز واهب الدنيا إلا تبيان بأروع منها، تفيض هذه اللوحات والمشاهد خيال واقعي خصب وان وفرة الصور الجميلة لتدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يؤثر التعبير عن المعنى المجرد بالصورة الحسية المستمدة من حياة المخاطبين، ليتأثرو به، وقد تميز أسلوب بيانه صلى الله عليه وسلم بحسن تركيبه وتصوير المعاني بأحسن تصوير واتبع الأذلة التي لم تعرف في كلام العرب³.

أولاً: دلالة الصور البيانية في الحديث النبوي الشريف

جاء في لسان العرب (تصورت الشيء توهمت صورته)⁴، ونقصد بالصورة كل ما له علاقة بالتعبير الحسي⁵، وكان العرب في القديم يستعملون لفظ الاستعارة للدلالة على ما تدل عليه الصورة، واتسع هذا المفهوم ليشمل عدة ألفاظ في مجال التصوير لفني كالتشبيه والاستعارة الكناية وغيرها وسنعرضها بالتفصيل والتحليل والتمثيل كالأتي:

¹ - كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار إقرأ، بيروت، لبنان، ط1984، م1، ص23.

² - احمد حسن الزيات، وحي الرسالة، دار الثقافة، بيروت، ط10، عدد الاجزاء3، 81/4.

³ - محمد بن لطف الصباغ، الحديث النبوي الشريف، مصطلحه، بلاغته، المكتب الإسلامي، ص73.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1968، مادة صور .

⁵ - مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، مكتبة مصر الأولى، 1958م، ص03.

1/التشبيه:

مفهومه:

لغة: التمثيل، من مادة شبه، وجمعه أشباه¹.

اصطلاحاً: هو اشتراك أمر لأمر آخر في صفة معينة بأداة من أدوات التشبيه، سواء كانت ظاهرة أو مقدرة، ويعرفه **السكاكي** بقوله: " أن لتشبيه مستدع طرفين مشبها ومشبها به واشتركا بينهما في وجه الشبه"².

أن الصورة التشبيهية في الحديث الشريف من الوسائل الفنية التي تقوم بإيضاح المعنى وتقريبه الى الأذهان، وقد استعملت في الحديث الشريف يتسنى أنواعها دلالة على بلاغة صلى الله عليه وسلم وفصاحته وقدرته على التصوير المعاني بأحسن تصوير.

مثال: قال صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان)³ - قال الإمام العيني رحمه الله وفيه تشبيه الإيمان بشجرة ذات أغصان وذلك لان الإيمان في اللغة التصديق بمعنى تصديق القلب واللسان وكما له بالطاعات، فحينئذ الأخبار عن الإيمان بأنه بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة، فهذا من باب إطلاق الأصل على الفرع ومعنى ذلك أن الإيمان هو الأصل وباقي الأعمال فروع عنه⁴.

فالشيخ رحمه الله يشير الى صورة بلاغية إلا وهي التشبيه، فشبّه الإيمان بالشجرة الكبيرة التي تحمل شعبا كبيرة، وكل شعبة تتفرع الى فروع، فالإيمان هو أصل الشجر بما فيها جذوعها وسيقانها

¹ - لسان العرب، مادة شبه، ج5، ص23.

² - مفتاح العلوم للسكاكي، ص177.

³ - أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان وقول الله تعالى (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ) رقم9، ج1، ص22 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

⁴ - عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، ط3، بيروت، دار الفكر، د ت ، ج1، ص127.

ومكملات الإيمان هي السبعون شعبة. وهذا التشبيه التمثيلي جاء على سبيل الاستعارة بالكناية، حيث حذف المشبه به وهو الشجرة، جاء بلازمه من لوازمه وهي الفروع.

2/ الاستعارة:

لغة: من العارية، معناها نقل الشيء من شخص الى آخر.¹

اصطلاحاً: استعمال اللفظ في غير موضعه لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي الحقيقي والمعنى المجازي الخيالي، مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

تعد الاستعارة أيضاً من الأساليب الجمالية التي لقيت هي الأخرى حظاً في الحديث النبوي وذلك لأنها توضح المعنى بأسلوب رائع وجيز، وسنوضح ذلك في حديث من كتاب صحيح البخاري وبيان وظيفتها في إيضاح معالم الدين بأسلوب فني راق.

وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: " بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وان محمداً رسول الله، إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان"².

قال الإمام بدر العيني " وفيه الاستعارة بالكناية، لأنه شبه الإسلام بمبنى له دعائم وركائز³، فذكر المشبه وهو الإسلام وحذف المشبه به وذكر لازمة من لوازمه وهو البناء على سبيل الاستعارة المكنية فقد شبه الإسلام بشيء مادي أما الإسلام فهو شيء معنوي يقوم على دعائم تقويه وترسي قواعده التي يجب على المسلم القيام بها والالتزام بها.

¹ - لسان العرب مادة (عرا)، ج2، ص220.

² - أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس، ج1، رقم08، ص22 عن ابن عمر .

³ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج1، ص125.

3 / الكناية:

لغة: من كنى وتدل على عدول عن لفظ الى آخر دال عليه ، يقول الخليل: كنى فلان عن الكلمة المستفحصة يكني، إذا تكلم بغيرها مما يستدل به عليها نحو الجماع والزفة والغائط وغيرها¹.

اصطلاحاً: هي أن تتكلم بشيء وتريد به غيره، والكناية حسب تعريف القزويني (ت 739) هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ².

لقد أسهمت الكناية في بناء الصورة البيانية في الحديث الشريف، فكان لها الأثر الواضح في قصة استعمال اللفظ، وقد شكلت لدى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه نمطا متميزا يلجئون إليه كلما ارادوا التعبير عن كلامهم بفخامة وبلاغة فضلا عن تصويرهم المعاني في أحسن تصوير قد تعجز الأساليب الأخرى عن آدائه . في قوله صلى الله عليه وسلم: " بايعوني على إلا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم، وأرجلكم، ولا تعصوا قبي معروف، فمن وفي منكم فجره على الله، ومن أصاب من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا، ثم ستره الله، فهو الى الله إن شاء عفا عنه، وإن كان شاء عاقبه"³.

قال رحمه الله فما معنى أضافته الى الأيدي والأرجل، وأجيب باه لا تأتوا بهتان من قبل أنفسكم، واليد والرجل كنايةتان عن الذات لان معظم الأفعال يقع لهما، وقد يعاقب الرجل بجناية قوليه، فيقال له هذا بما كسبت يداك ولا تغشوه من ضمائركم، لان المفترى إذا أراد الكذب أو اختلاق قول يقرره أولا في ذهنه أي ضميره، ومنشأ ذلك بين الأيدي والأرجل وهي من الإنسان، ففي الحديث كناية في تعبيره صلى الله عليه وسلم عن الذات بالأيدي والأرجل، مصداقا لقوله تعالى: " ذلك بما قدمت أيديكم " ذلك أن الأيدي هي المسئولة عن الأفعال. وقد فسر البهتان بأنه ما يكون من إلحاق المرأة

¹ - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الرشيد، بغداد 1980م، 5/411 (كنى).

² - محمد بن سعد بن عمر القزويني، الإيضاح في علوم البلاغية، دار إحياء العلوم، بيروت 1998م، ص301.

³ - أخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، رقم 18، ج1، ص24، عن عبادة بن الصامت

بزوجها ولدا من غيره، لان الولد يسقط بين يديها ورجليها¹، وهذا افتراء باليد، وتكمن فائدة هذا الحديث في شر ما يمكن لتصريح به لأنه صفة مذمومة، وهذه احد أغراض الكناية ومقاصدها وهي تحسين الكلام وتزيينه.

ثانيا: دلالة المحسنات البديعية في الحديث النبوي الشريف

1- الطباق:

لغة: الموافقة أي لجمع بالشيئين²

اصطلاحا: في نظر السكاني الجمع بين متضادين متقابلين سواء كان ايجابيا أم سلبيا ويكون بين اسمين أو فعلين، حرفي مختلفين³.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: أتاني أعرابي فقال: دلي على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: (تعبد الله ولا تشرك به شيئا) متفق عليه⁴.

ورد الطباق في هذا الحديث بين كلمتين متضادتين هما (تعبد) و (تشرك) ونعني بالعبادة طاعة الله تعالى وتطبيق أوامره واجتناب نواهيه، وعدم الشرك به، والاعتراف بنعمه وشكره عليها، كذلك ساهم في توضيح المعنى في الأذهان بأسلوب فني راق.

2-الجناس: هو تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى كما يسمى بالتجنيس

والمجانسة.

¹ - ينظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، ج1، ص61.

² - الصناعتين، ص339

³ - الإشارات والتنبيهات، ص308.

⁴ - جامع الأحاديث القدسية، ج1.

فعن عبد الله بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: "إن الله عز وجل يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً"¹.

وقع الجناس في قوله: (عشية عرفة)، (أهل عرفة)، فكلمة عرفة الأولى يقصد بها التاسع من ذي الحجة، والثانية يقصد بها جبل عرفة الموجود في المملكة العربية السعودية، فجاءت اللفظتان منفقتين في عدد الحروف وهياتهما لكنهما اختلفتا في المعنى على سبيل الجناس التام.

3- **المقابلة:** هي أن تؤمن بمعنيين أو أكثر ثم ما يقابلها على الترتيب²، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر، ومن دعا إلى ضلالة كان له من الإثم" رواه مسلم.

جاءت المقابلة بين جملتين، الأولى في قوله (الهدى) و (الضلالة)، فالهدى هو العمل النافع والطريق المستقيم، أما الضلالة فهي عكس ذلك وعني بها كل ما يفسد العقل البشري من الأعمال الرذيلة، وكذلك بين كلمة (الأجر) و (الإثم)، فالأجر جزاء المؤمن أما الإثم فجزاء الكافر الضال.

4- السجع:

لغة: الكلام المقفى، أو موالاة الكلام على روي واحد وجمعه اساجيع³.

اصطلاحاً: هو تشابه الكلمتين في الحروف وهو على ثلاثة اضرب مطرف ومتوازي ومرصع⁴.

¹ - من بلاغة القرآن الكريم، ص 281.

² - لسان العرب مادة سجع

³ - لسان العرب مادة سجع .

⁴ - الإيضاح للقزويني، ص 442.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يقول الله تبارك وتعالى: يا ابن ادم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال علمت أن عبدي فلانا مرض فلو كنت عنده لوجدت ذلك عندي أو وجدتني عنده"¹.

اتفقت فواصل هذا الحديث في الوزن دون القافية في قوله (عنده) و(عدته) على سبيل السجع. فلاحظ انه قد ساهم في توضيح المعنى وكذلك تزيينه كونه احداث جرسا موسيقيا في ذهن السامع.

الإيجاز والإطناب في الحديث النبوي الشريف

الإيجاز: من دقائق لغة الحديث وبديع نظمه وجمال أسلوبه, هو التعبير عن المعاني الكثيرة بالافلاظ القليلة وهو ما يعرف بالإيجاز وهذا يعود الى البيئة التي كان يعيش فيها العرب التي تتميز بالفصاحة والبلاغة, فضلا على أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم كان افصح العرب مصداقا لقوله: "أوتيت جوامع الكلم". كما كان يكره الإطالة في الكلام بما يجاوز مقدار الإبلاغ.

" عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يشوش فاه بالسواك"² هذا الحديث من إيجاز القصر في قوله "يشوش فاه بالسواك" أي يدلك الإنسان بالسواك الى فمه, والحديث يحث على استجاب الاستياك عند القيام من لنوم.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من الغائط قال

(غفرانك)³، ورد الإيجاز ف لفظة غفرانك وهو من يجاز الحذف ومعناه الستر مع الوقاية وهو مفعول به منصوب بفعل مقدر تقديره أسالك غفرانك.

ورد الإيجاز في الحديث النبوي الشريف بنوعيه وهذا يدل على بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم وقدرته على الإبلاغ بأقل بالافلاظ وذلك تجنبنا للملل من قبل المستمع أو القارئ.

¹ - جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص176.

² - أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ج1، كتاب الطهارة، الحديث رقم 55، ص34.

³ - المرجع السابق، الحديث، رقم30، ص21.

الإطناب: هو المبالغة في الكلام وإطالة للإفادة في المعاني¹.

فالإطناب يتخذ طرقا ومسارات عديدة لأجل الوصول الى عرض المعاني بصور مختلفة، وله عدة طرق وكل طريقة لها مقصديها ودلالاتها، لذلك عين العلماء بالبحث عن تلك الطرق وأسباب زيادة المعنى عن اللفظ وقد رد في أحاديث الكتاب في اثنا عشر موضعا بمختلف طرقه وهي كالتالي:

1/ الإيضاح بعد الإجمال: من ابرز طرق الإطناب وذلك لما تحمله من بنية نحوية تبرز المعنى بطريقتين مختلفتين الأولى توضح المعنى بصورة مجملة والثانية التي توضح الأولى وتقرّبها الى الذهن، وذلك أفضل مما لو ذكرت دمعة واحدة، وهذه الطريقة تبرز أسلوبه صلى الله عليه وسلم في توصيل المعاني الى السامعين وروعت أسلوبه.

فعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، وان هم بما فعلها، كتبها الله عنده عشر حسنات، الى سبعمائة ضعف، الى ضعاف كثيرة، وان هم بسيئة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، وان هم بما فعلها، كتبها الله سيئة واحدة"².

حيث يؤكد ذلك بأداة التوكيد "أن" وان الله يكتب الحسنات والسيئات والحسنة بعشر أمثالها، فاتبع الرسول أداة التوكيد أن بأفعال تدل على الماضي كتب، بين لتأكيد وقوع الخبر المراد توصيله الى الشامع وكذلك اسم الإشارة ذلك قد أكد لنا بيان أحكام كتابة الحسنات والسيئات للملائكة.

فالجمله الأولى "أن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك" جاءت كمقدمة للكلام ثم بعد ذلك قام بالتفصيل والشرح والتوضيح وهذا ما يسمى بالإيضاح بعد الأجمال.

¹ - أساس البلاغة 81/2 ولسان العرب، 617/2.

² - أخرجه البخاري في كتاب الرقائق، باب من هم بحسنة أو سيئة، ج(6/126).

2/ عطف العام على الخاص:

غرض يرميه المتكلم، بتنويع ذكر الخاص بعد العام وقد ورد في حديث يرويه معاذ عندما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن عمل يدخله الجنة فأجابه يقول: "لقد سألت عن عظيم وطفه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت¹.

اعتاد الرسول صلى الله عليه وسلم التمهيد للإجابة على تساؤل ما وذلك لتنبية السائل على فخامة الجواب، فكان كلما أراد الإجابة عن سؤال مهد له ليتمكنه في الذهن، "إذا اخرج قوله:" لقد سألت عن عظيم، مخرج الخبر وإنكاري لم رأى صلى الله عليه وسلم في معاذ شائبة الإنكار من التهاون في السؤال².

بينما اخرج قوله: "تعبد الله لا تشرك به شيئاً مخرج الخبر ا لابتدائي". وبينما يزيد من بلاغة الحديث هو حسن استخدام الظاهر والمصرفية فقوله: لا تشرك به عائد الى الله تعالى، لكن الثاني أولى، بينما أقام الظاهر مقام المضمّر في قوله: "تعبد الله لتأكيد الأمر، فقرت قوله: لا تشرك به شيئاً، بقوله تعبد الله" دون العطف بالواو، وهنا يظهر دور الإطناب وذلك بذكر العبادات وذلك بغية التقرب الى الله تعالى.

3/ التكرار:

من أقوى وسائل الإقناع التي تكتب العقيدة الإسلامية وهو ان يأتي المتكلم يلفظ ثم يعيده، وغايته هي التأكيد على الشيء، ومنه حديث يرويه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه"³.

¹ - دليل الفالحين: 68/1.

² - سبق تخرجه.

³ - أخرجه البخاري من كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته، الحديث (5784).

تضمن الحديث أسلوب الشرط " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر " وكررها أكثر من مرة وهو بهذا قام بتعظيم شأن الجار والضيف مما يخلق موقفا شعوريا وانفعاليا وذلك لاقتراحهما بالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، فالتكرار الأول إشارة الى القولية في ضرورة التحلي عن الرذائل قولا بالخير أو سكوتا عن الشر، ولثاني والثالث إشارة الى الفعلية في ضرورة التحلي بالفضائل والشفقة على خلق الله، وعدم لئداء الجار وإكرام الضيف.

فالتكرار النبوي له دلالات فنية في استنباط إجماليات النص المكرر، كونه خير وسيلة لتثبيت المعلومات والمهارات¹.

4/التميم: هو أن يؤتى بكلام لا يوهم خلاف المقصود لتقرير المعنى في الذهن وقد ورد في حديث يرويه وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم: " جئت تسال عن البر؟ قلت: نعم قال: استفت قلبك، البر ما مالت إليه النفس، اطمنن إليه لقلب، الإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وان أفتاك الناس وأفتوك"².

من الملاحظ أن لحديث يمجّد لنا لحكم القلبي عند الإنسان وجعله الأمر والناهي بمؤازرة النفس في اتخاذ الأمور والتدابير التي ترا على المسلم، واستفتاء القلب عند لقيام بأمر ما فالبر هو ما ترتاح له نفسك وتطمئن إليه، وتجنب الفتاوى التي لا ترتاح لها نفسك، وهنا يظهر دور التميم في حسم النتيجة التي ينبغي على القلب ولنفس اتخاذها، فقال الطيبي: " وان فتاك الناس وفتوك " شر قطع عن الجزاء، تميما للكلام السابق وتقريراً له على سبيل المبالغة³ فقد قيل أن قلب المؤمن نور **تيقّد**، فإذا أرد عليه الحق التقى هو ونور القلب واطمئن له، وإذا ما ورد عليه الباطل نفر نور القلب منه ولا يطمئن له، ومما يزيد في بلاغة التميم هو اقترانه بالتأكيد اللفظي لتقرير المعنى - (أفتاك وأفتوك).

¹ - الحديث النبوي وعلم النفس، ص186.

² - أخرجه مسلم في كتاب البر والصفة، باب تفسير البر والإثم، حديث رقم (2553).

³ - شرح الطيبي، 22/6.

5/التذييل: هو تعقيب جملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد، والتحقيق دلالة المنطوق الأول ومفهومه، فيكو معه كالدليل عليه¹.

ومنه ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عليه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"².

بين الحديث جزاء من ستر مسلما، وتضمن أسلوب الشرط ثم بين جزاء تلك الأعمال وغرسها في نفوس المسلمين، ينقلنا السياق الى ما يدل على الكبات والدوام باستخدام الجملة الاسمية ليشير الى ثبوت ودوام الحكم الإلهي على العبد في قوله: " والله في ون العبد"، إذا ثبت دوام الخير وهو المصدر المؤول في قوله: " مادام العبد في عون أخيه، لا سيما أن الجملة وقعت موقع التذييل لجمل الشرط السابقة، التأكيد العناية الإلهية بمضمون تلك الجمل، يقول الطيبي: " والله في عون العبد" تذييل للسابق، لاشتماله على دفع المضرة عن أخيه المسلم، وعلى جلب النفع له³. فالجملة التذييلية أغنت لحديث من جانين: الأول أنها مثلت تركيبا جمليا تام المعنى، يقيم حقيقة إخبارية الى المتلقي.

والثاني هو كون التذييل بالجملة تتمتع ببناء تركيبى دلالي تام المعنى وترسخ الفهم لدى المتلقي، وتخدم معلومات تفرز المعنى السابق وتؤكد خلال الترابط الدلالي فيما بينها⁴.

ويمكن للتذييل أن يجري مجرى المثل، فإذا ما مر المسلم بموقف يعين فيه أخاه المسلم، جاءت تلك الجملة التذييلية مشجعة لذلك الموقف فأخرجت مخرج المثل التي تردده الألسنة في مثل تلك المواقف، اذ

¹ - ينظر البرهان في علوم القرآن 68/3، الشامل معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، ص278.

² - أخرجه مسلم في كتاب الذكر والقرية والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم الحديث(2699).

³ - شرح الطيبي 238/1.

⁴ - الإطناب في القرآن الكريم، أنماطه ودلالاته، وفاء فيصل، أطروحة دكتوراه، ص242.

أن من أهداف التذييل الجاري مجرى المثل تقرير حقيقة المعنى العام وتوجيهه مما يساعد على النصح والإرشاد.

مما سبق ذكره يمكن القول بان الإيجاز والإطناب من الأبواب البلاغية المهمة في البيان النبوي، لما لها أثر في البيان والإبانة، فكلاهما مطلوب في موضعه لحاجة المتكلم إليهما فالحاجة الى الإيجاز في موضعه كالحاجة الى الإطناب في مكانه فكلاهما يعملان معا للإبانة عن المعنى المطلوب.

المبحث الثالث: الإيجاز وجماليته الفنية والدلالية في الحديث النبوي الشريف

حديث المرأة التكلي أنموذجا:

توطئة:

يعد الإيجاز من أبرز خصائص البيان النبوي وقد أشار إليها صلى الله عليه وسلم بقوله " أوتيت جوامع الكلم" وفي رواية " أعطيت" والمقصود بجوامع الكلم " القرآن الكريم" وكلامه صلى الله عليه كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعنى وقال الطيبي " وقيل إيجاز الكلام هو إتباع من المعنى بالكلمة القليلة الحروف منها تتضمن كثيرا من المعاني وأنواعا من الكلام " ¹.

وهذه الخاصية البارزة في بيانه صلى الله عليه وسلم لا تحتاج الى تمثيل لها لكونها شائعة وطاهرة، ومن أولى بالخصاصة وأحق بالإيجاز منه صلى الله عليه وسلم.

والإيجاز عند البلاغيين من شروط البلاغة والفصاحة والبلاغة الإيجاز والاختصار ²، وحذف فضول الكلام حتى يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة وهذا من أشهر دلائل الفصاحة وبلاغة الكلام عند أكثر الناس فإن كان الكلام الموجز لا يدل على معناه دلالة ظاهرة فهو قبيح مذموم لا من حيث كان مختصرا بل من حيث كان فيه (المعنى كافيا) وقد حاولنا وفي هذا المبحث إبراز الجمالية الفنية

¹ - ينظر شرح الطيبي على المشكلة 10/356

² - ينظر اللسان مادة "وجز"، 57/427، وشروح التلخيص 3/159، 160

والدلالية في كلامه صلى الله عليه وسلم، الذي افرد بأسباب طبيعية، فهو من جهة اللغة مسدد اللفظ
جزل التركيب متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات ومن جهة البيان تراه حسن المغزى جيد الوصف
، متمكن المعنى ، بديع الإشارة.

وبعد هذه المقدمة الوجيزة عن الإيجاز نتقل الى التطبيق على حديث إختزناه وهو المرأة الثكلى
التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم تبكي على صبيها.

يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة تبكي على قبر فقال: " اتَّقِي الله وَاصْبِرِي فَقَالَتْ:
إِيَّاكَ عَيِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى " ¹.

وما أروع عباراته الأخيرة صلى الله عليه وسلم، التي جمعت مع الإيجاز الحكمة، ولقد تألفت من
خمس كلمات ولكنها حوت الكثير من المعاني فالنبي صلى الله عليه وسلم بهذه العبارة الموجزة يريد أن
يقول لهذه المرأة التي فقدت صبيها أن الصبر الحقيقي عند شدة المصيبة وقوتها وان صاحبه يثاب عليه
في تلك اللحظة لان النفس إنما يشتد جزاءها أو يكون ثباتها عند أول نزول البلاء.

فمن الناس من يجزع ويفوت على نفسه فضيلة الصبر الذي جاء في الحديث محصورا بـ " غنما"
ومعرفا بـ " أل" أي الصب الحقيقي الكامل الذي يترتب عليه الأجر والثواب لكثرة المشقة فيه ²، الذي
عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بـ " الصدم" من الأمور الحسية ومعناه الثبات عند نزول البلاء
والتحمل في سبيل الله ، ونعت الصدمة هنا بالأولى لأنه إذا طال ومر عليه الزمن يصير الصبر طبعا فلا
يؤجر عليه، وهكذا نلاحظ عباراته صلى الله عليه وسلم على وجازتها ودقة ألفاظها، حوت كثيرا من
المعاني والإرشادات، ويلاحظ انه جاء بـ " إنما" التي تفيد القصر في أول الكلام، وعبر عن شدة المصيبة

¹ - متفق عليه من حديث انس وأخرجه أيضا أبو داوود والترمذي وأنظر في مشكلة المصايح، ج(1728)، 414-415/3
وجامع الأصول 7/283.

² - جاء في رواية ذكرها ابن كثير انه صلى الله عليه وسلم مر بإمرأة تبكي على صبي، ويراجع جامع الأصول 7/283.

بالصدمة الأولى ، كل هذا مقصود إليه في إيجاز هذا الحديث ، والحديث فضلا عن ذلك حكمة من الحكم التي تدور على السنة الناس إذا أصيب أحدهم بمصيبة صبرت الناس بهذا الحديث ¹.

في الحديث يشير الى قدرة النبي صلى الله عليه وسلم على الإيجاز في عرض الموضوع وهو الصبر على البلاء ، ويلاحظ أيضا على الإيجاز قلة الألفاظ مع وضوحها وهذا الوضوح في دلالة الألفاظ الموجودة شرط دقيق لان الإيجاز إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ فلا بد أن تكون العبارة واضحة حتى لا يختلف الناس في فهمها.

ويلاحظ أيضا على الحديث ما تقتضيه الحال من حيث التعريف والتنكير ، التقديم والتأخير في قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى " حيث جاءت إنما للقصر ، و التعبير عن أثر المصيبة ب الصدم من الأمور الحسية ، وهذا مثال لروائع الإيجاز في الحديث النبوي الشريف ².

¹ - ينظر صحيح مسلم بشرح النووي 6/227.

² - المرجع السابق.



خاتمه

وبحمد الباري ونعمة منه ، وفضلا ورحمة نضع قطراتنا الأخيرة بعد رحلة عبر فصلين بين تفكر وتعقل في موضوع الإيجاز ودلالته الفنية في الحديث الريف هي دراسة طويلة وممتعة وقد حرصنا من خلالها على كشف الكثير من الأسرار الجمالية التي تضمنها حديثه صلى الله عليه وسلم ومن بين النتائج التي توصلنا إليها ما يلي:

الإيجاز هو احد علوم البلاغة وهو نوعان إيجاز الحذف وإيجاز القصر ويقصد به التعبير على المراد بكلام قصير وهو تصوير المعاني لكثيرة بألفاظ قليلة ، وقد اهتم به العرب الى الحد الذي جعل بعضهم يعرفون البلاغة على أنها الإيجاز عينه .

- لقي مصطلح الإيجاز اهتماما بالغا من طرف القدماء المصريين والمحدثين وقد عرف الإيجاز القصر صاحب الصياغتين بقوله أن يكون اللفظ قليل يشير الى معاني كثيرة ، واليه ذهب أيضا البقلاني ، أما السكاكي جعل لتأدية الكلام متعارف بتعارف الناس فيما بينهم وقد يزيد الكلام عليه أو ينقص .

- ذهب البلاغيون الى أن إيجاز القصر هو اختصار اللفظ مع توافر شرط الإيضاح وحسن الدلالة من بينهم نجم الدين ابن الأثير ، ابن أبي الأصبغ والسكاكي وغيرهم ، أما المحدثون من البلاغيين فلا نجد بينهم كثير الاختلاف فيما عرفوا به البلاغيون المتقدمون إيجاز القصر أمثال شيخ محمد بسيوني والحملأوي .

- قسم البلاغيون الإيجاز الى قسمين : إيجاز القصر وهو تضمن العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف ، إيجاز الحذف هو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة من غير إطناب وإسهاب .

- يعد الإيجاز مقياس من مقاييس البلاغة ، وقد كان محل اهتمام البلاغيين فهم يقدمون المعنى الكثير في القول القليل ويستحسنون ويعيرون الإطالة في أداء المعنى بما يجاوز مقدار القصد .

- الحديث النبوي الشريف هو ما أضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، وهو أنواع حديث صحيح ، حسن وضعيف .

- الحديث الصحيح حجة يجب العمل به لتوفره على شروط الصحة أما الحسن فحكمه حكم الصحيح وغن كان دونه في القوة- واختلاف العلماء في حكم الضعيف وقد اجمع بعضهم على استحباب العمل به بشروط.

- يعد الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني من مصادر التشريع وتعد بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم من ابرز مظاهر عظمته صاحب اللسان المبين والمنطق السليم.

- تنوعت الخصائص البلاغية في الحديث الشريف كدلالة الصور البيانية من تشبيه ،استعارة ،وكناية وكذلك المحسنات البديعية كالطباق ،الجناس والسجع وغرضها هو توضيح المعاني بأسلوب فني راق.

- يعد الإيجاز من أبرز خصائص البيان النبوي ومن أمثلته حديث المرأة الثكلى التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم ،فقد حوى الحديث أروع عليه وسلم على الإيجاز في عرض الموضوع وهو الصبر عند البلاء.



قائمة المصادر
والمراجع

- القرآن الكريم

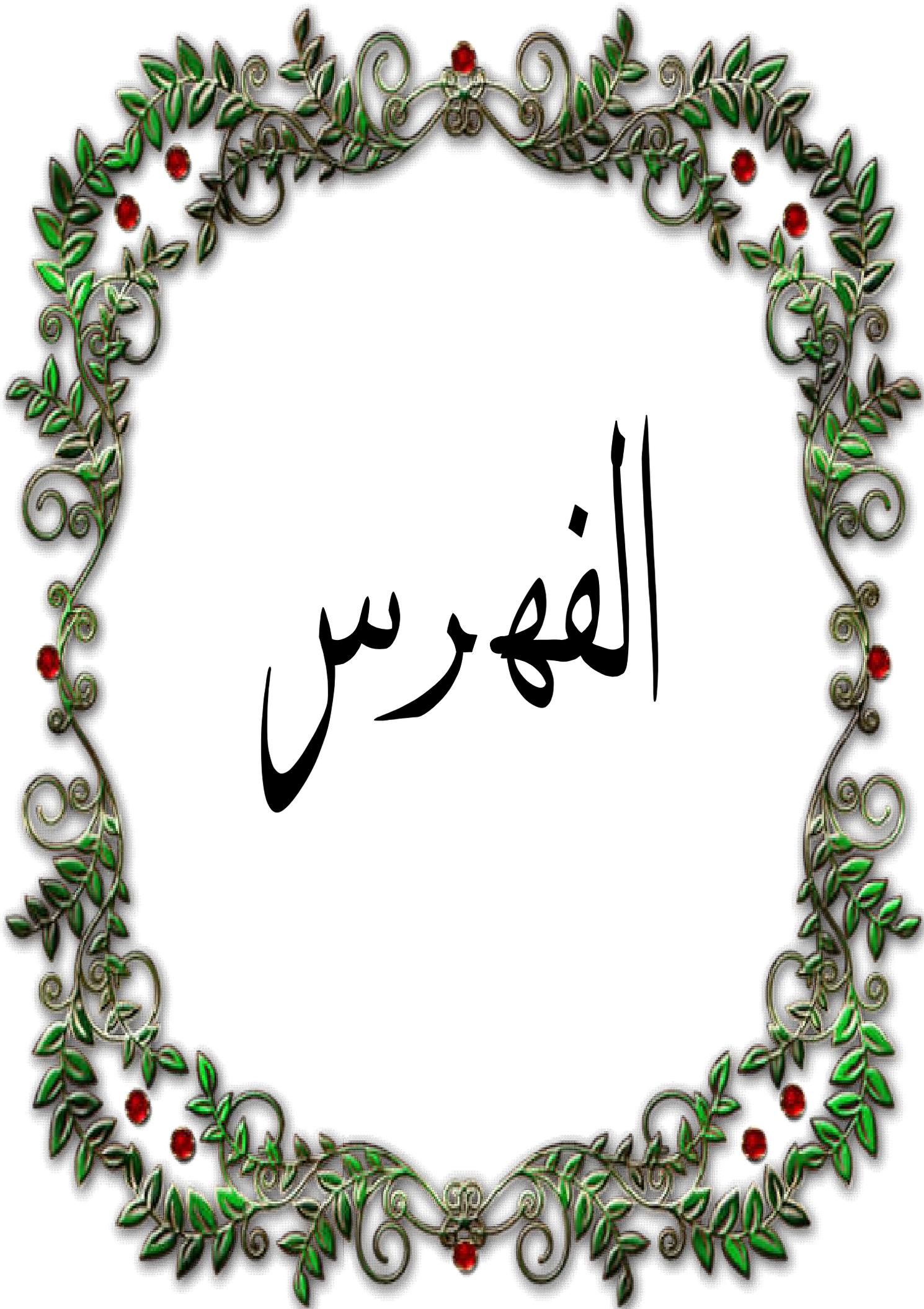
قائمة المصادر والمراجع:

- نصر الدين بن زروق، اللغة العربية، وأدائها، 2006 - 2007،
- ابن جني، الخصائص: تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، المكتبة العلمية، ج1.
- ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، المطبعة الخيرية، 1304هـ.
- ابن حمزة العلوي الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982.
- ابن رشيق القيرواني، العمدة، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ج1، ط5، 1981، 1401 .
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1968.
- أحمد النادي شعلة، علم المعاني، دار الطباعة المحمدية، 1910.
- احمد حسن الزيات، وحي الرسالة، دار الثقافة، بيروت، ط10، عدد الاجزاء3،4.
- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المكتبة المحمودية، التجارية، 1972 .
- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ج1، 1913.
- الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز دراسة بلاغية، مختار عطية، دار المعرفة، الإسكندرية، دط، 1997 .
- البقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، الطبعة الخامسة، 1911
- الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، شرح اسكندر آصاف، المطبعة العمومية، لمصر.
- الثعالبي، قواعد الشعر، شرح وتعليق، د- محمد عبد المنعم خفاجي، الحلبي، 1941.
- الجاحظ البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخفاجي للطباعة والنشر والتوزيع، 1948، ج1 ط7، 1418، 1998.
- الزكرشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة دار التراث، ج1، 1907.

- السكاكي، مفتاح العلوم، الطبعة الأدبية بالقاهرة، د.ت،
- الشيخ محمد البسيوني، حسن الصنيع في علم المعاني والبيان والبديع، مطبعة ديوان عموم المعارف، 1880.
- العسكري، الصناعين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1914،
- القزويني، الإيضاح، دار الكتاب اللبناني، 1949 .
- درويش الجندي، علم المعاني، دار النهضة نصر، ط2، 1962.
- شهاب الدين الحلبي، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، للطبعة الوهيبية بمصر، ج1، 1291.
- ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر، تقديم وتحقيق وتعليق د- أحمد الحوفي، د- بدوى طبانة، دار النهضة مصر، ج2، 1973.
- عبد الرحمان حسن حبكة، الميداني البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم دمشق، الدار الشامية، بيروت، ج2، ط1، 1416، 1996.
- عبد العزيز عبد المعطي، تاريخ نشأة علوم البلاغة، دار الطباعة المحمدية.
- عبد الفتاح حجاب، من أسرار التركيب البلاغي - المكتبة التوفيقية 1977.
- عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف، 1971.
- عبد القادر حسين، أثر النجاة في الدرس البلاغي، دار النهضة مصر، 1970.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قراءة وعلق عليه أبو فهد محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- عبد الكريم الرديني، مباحث في تاريخ الحديث ومصطلحه، شركة الشهاب الجزائر.
- عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم البديع، مكتبة ومطبعة الإشارة الفنية، الإسكندرية، ط1، 2000م.
- عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية، المعاني البيان، البديع، الكتاب الأول المعاني، منشورات الجامعة المفتوحة، 1993،
- فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ على البيان والتبيين، دار التوفيق النموذجية، 1913.

- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم مفاعي، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، 1971.
- كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.
- محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، مطبعة المختار الإسلامي، 1914.
- محمد أديب صالح، لمحات في أصول الحديث، د ط.
- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله النجاري الجعفري، صحيح البخاري، ص30، اليمامة-بيروت، دار بن كثير، ج50.
- محمد بن علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات، في علم البلاغة تحقيق د - عبد القادر حسين، دار النهضة مصر 1977.
- محمد بن لطف الصباغ، الحديث النبوي الشريف، مصطلحه، بلاغته، المكتب الإسلامي.
- محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي، دار المعارف، د.ت، الطبعة الثالثة.
- محمد عمجاج الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحه، دار الفكر، ط6، 1138هـ/1967م.
- محمود التحاق، تيسير مصطلح الحديث، مركز الهدى للدراسات، الإسكندرية، 1415هـ.
- مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، مكتبة مصر الأولى، 1958م.
- وفاء فيصل، الإطناب في القرآن الكريم، أنماطه ودلالاته، أطروحة دكتوراه.

الفخر



الإهداء

شكر وعرفان

مقدمة	(أ- ب)
مدخل	3
الفصل الأول: مفهوم الإيجاز وبلاغته	08
المبحث الأول: الإيجاز لغة واصطلاحاً	08
المبحث الثاني: الإيجاز عند القدامى والمحدثين	10
المبحث الثالث: أنواع الإيجاز وبلاغته	22
الفصل الثاني: المرابطون ودفاعهم على مسلمي الأندلس	27
المبحث الأول: مفهوم الحديث	29
المبحث الثاني: الخصائص البلاغية للحديث النبوي الشريف	36
المبحث الثالث: الإيجاز وجماليته الفنية والدلالية في الحديث النبوي الشريف	47
خاتمة	50
قائمة المصادر والمراجع	53
الفهرس	57